لعبة الحب والموت

رومان رولان

رومان رولان

ولد عام ١٨٦٦ ، طفولة تعسة فى أسرة فقيرة وحى متواضع ، فى أحضان أم مغلوبة على أمرها ، لم تستطع أن تقدم للطفل إلا المثل الأعلى فى الخلق القويم ونظرة التشاؤم للحياة والناس .

- أستاذ فى تاريخ الفن فى السوربون .

بدأ بالمسرح ، فحاول أن يكتب سلسلة من المسرحيات عن الثورة الفرنسية ، كتب منها أربع مسرحيات هى : الذئاب ١٩٩٨ ، دانتون ١٩٠١ ، انتصار العقل ١٨٩٩ ثم ١٤ يوليو ١٩٠٢ .

لم يستطيع أن يفرض نفسه على الحركة المسرحية ، فتحول إلى العمل الضخم الذى حقق له الشهرة العالمية وهو رواية جان كريستوف من عشرة مجلدات . هذا العمل الذى يذكرنا بحياة بتهوفن وحياة الكاتب نفسه وحلمه بأن يرى أوروبا موحدة ، حصل بفضله الكاتب على الجائزة الكبرى لمجمع اللغة الفرنسية عام ١٩١٣ .

لم يصرف ذلك عن مواصلة مشروع قديم بكتابة سلسلة من تراجم العظماء : حياة بتهوفن، حياة ميكل أنجلو ، حياة تولوستوى .

ثم عاد رومان رولان إلى المسرح وكتب رائعته الأثيرة إلى نفسه لعبة الحب والموت عام ١٩٢٥ ، وأعياد الفصح المزهرة عام ١٩٢٦ ، ثم ليونيد أو الأسديات عام ١٩٢٨ وأخيرا مسرحية روبسبيير عام ١٩٣٩ .

جميع أعمال رومان رولان تنم عن سعيه الدءوب وراء الصدق والصراحة المطلقة نحو نفسه ونحو الآخرين ، والرغبة الشديدة فى الاستمساك باستقلالية الفكر وعدم الانحياز ، مما أثار حوله الريبة التى وصلت إلى حد توجيه اللوم .

تحت العناوين المختلفة التى تصدرت أعمال رومان رولان الروائية أو المسرحية ، نجد الدعوة إلى الوفاق بين الشعوب والسلام بين الأمم . وقد ظل طول حياته فى بحث دءوب عن بطل يجمع بين فلسفة نيتشه وأفكار تولوستوى ، بطل يسعى دون عنف أو قسوة إلى أن يفهم كل شىء ، لكى يحب كل شىء .

فى لعبة الحب والموت نشاهد فنون الحب المختلفة (الحب العاطفى ، حب الوطن ، حب الأصدقاء ، حب الأزواج ... إلخ) تتعرض لامتحانات عسيرة أمام أحداث الثورة الفرنسية وتوابعها التى شابت لها رءوس الشبان قبل الشيوخ ، قبل أن يأتى الموت الذى لا يفرق بين أولئك وهؤلاء .

فى عام ١٩١٦ حصل رومان رولان على جائزة نوبل .

الشخوص

چيروم دى كورفوازييه	عضو لجنة الميثاق	٦٠ سنة
صوفى دى كورفوازييه	زوجتـه	٣٥ سنة
كلود فاللیه	نائب چيروندينى منفى	٣٠ سنة
لازار كارنو	من لجنة السلام العام	٤١ سنة
دينى بابيو		٦٥ سنة
أوراس بوشيه		٢٥ سنة
لودوييسكا سيريزييه		٢٥ سنة
كلوريس سوسى		١٧ سنة
كرابار	مندوب لجنة الأمن	
تيموليون، دوسان، بودان	مفتشـون	

تقع أحداث المسرحية فى باريس ، فى منزل كورفوازييه حوالى نهاية مارس ١٧٩٤ .

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى باريس على مسرح الأوديون القومى فى ٢٩ يناير ١٩٢٨ وأدرجت بعد ذلك فى برنامج فرقة " الكوميدى فرانسيز " فى ٥ يوليو ١٩٣٩ ، وذلك فى ذكرى مرور مائة وخمسين عاما على قيام الثورة الفرنسية .

حجرة استقبال من طراز لويس السادس عشر ، ذات فتحات زجاجية واسعة ، فى الدور الأرضى الذى يرتفع بمقدار ثلاث درجات عن الحديقة .

فى وسط الحاجز القائم فى أقصى المسرح ، باب زجاجى مفتوح على سعته يوصل إلى الحديقة بواسطة الدرجات الثلاث . الحديقة الصغيرة تتلألأ فى ضوء الشمس . فى محور الباب المفتوح بالضبط ، نرى زنبقة مزدهرة ، زرقاء موردة ، وفى أقصى الحديقة ، يوجد الحائط الذى يفصلها عن الشارع . هذا الحائط ليس عاليا : لو تسلّقه طفل عند الركن الأيمن لاستطاع – من فوق القمة – أن يرى الشارع . فوق الحائط ، تتورد سماء المساء ، وتشحب فى بطء .

داخل حجرة الاستقبال

١– إلى اليسار : بابان ، أحدهما بالقرب من الدرابزين ، والآخر بالقرب من الحديقة . عندما يفتح الباب الآخر ، نلمح ركنا من الحجرة ، وهى حجرة نوم . بين البابين ، وسط الحائط الأيسر ، مدفأة عالية من المرمر ، فوقها تمثال نصفى لفولتير . فى الخلف ، مرآة كبيرة . إلى اليسار المدفأة ، مكتب طراز لويس السادس عشر . إلى يسار المكتب ،

بين المكتب والباب الداخلى القريب من الدرابزين ، أعدت جزيرة صغيرة من المقاعد المنخفضة من أجل التحدث على حدة . بروز المدفأة ، والمكتب وبارافان من الطراز الصينى تحجبها عن الأنظار المتجهة من الحديقة .

٢- إلى اليمين : باب يواجه باب الحاجز الأيسر ، القريب من الحديقة . عندما يكون مفتوحا نلمح بير سلم دائرى ، وركنا من صحن السلم ، والدرجات الأولى التى تنزل بالدور الأرضى وتفضى إلى الشارع . فى مواجهة المدفأة المرمرية ، نافذة تطل على الشارع . إلى يمين ويسار هذه النافذة صورتان طراز القرن الثامن عشر يمثلان رب وربة البيت : أما الزوجة فهى فى سن العشرين ، فى رمز أسطورى دعائى ، وأما السيد فهو مرسوم على نحو صورة "ديدرو" ، فى ملابس المنزل ، الرقبة مكشوفة ، منديل عنق حول الرأس ، فى حالة عمل ، يتحدث إلى مستمعين غير موجودين . الصورتان تبدوان وكأنهما متناسقتان مع تمثال فولتير النصفى ، الذى يبتسم فوق المدفأة الكائنة فى الجهة المقابلة .

معزف كبير ، تحت صورة مدام دى كورفوازييه (وهى أقرب الصورتين من الدرابزين) يهيئ خلوة أخرى من أجل التحدث على حدة .

الشعور السائد هو شعور بوسط راق ، مع آثار واضحة من ضيق الحال والفوضى والإتلاف . المدفأة الأثرية فارغة : سوف يشعل فيها ، فى النهاية ، لهب ضئيل . المكتب والمنضدة مزدحمان بالأوراق التى نرى وسطها فنجانين للقهوة . الثريا عارية (جرداء) . قنديل واحد سيستخدم بعد قليل فى إنارة المسرح .

المشهد الأول

يرفع الستار عن جماعة قليلة العدد – امرأتان شابتان (**صوفى دى كورفوازييه و لودوييسكا سيريزييه**) . فتاة (**كلوريس سوسى**) ، ضابط شاب (**أوراس بوشييه**) ، ورجل مسن (**دينى بايو**) – يمسك أفرادها بعضهم بعضا من أيديهم ، ويلفون حول الزنبقة المزدهرة وهم يغنون أغنية جريترى الوطنية الراقصة : " البراءة تعود . "

دينى بايو (**لاهث الأنفاس يحاول أن يتخلص من الرقصة**) – الرحمة ، يا شباب ! كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس – كلا ، كلا ، دور آخر !

(العجوز ، الذى خلص إحدى يديه ولا يزال ممسوكا من الأخرى ، يعود إلى المسرح ، وهو يجر وراءه الشلة الصغيرة التى تواصل الغناء . يسقط جالسا فوق أحد الكراسى ، وفيما هو يلهث ، يبدأ الشبان الثلاثة حوله – وهم يتضاحكون – أغنية راقصة جديدة ساخرة ، على لحن جريترى : " من أجل غرس شجرة الحرية ."

(كلوريس تضع ، وهى تغنى ، فوق رأس العجوز غصن زنبقة ملويا على شكل تاج .)

كلوريس ، لودوبيسكا ، أوراس **(وهم يغنون)**
" لمظهره الرقيق ، عودى للحياة
أنت يا من جمدتك الشيخوخة ...

انظرى إلى أبنائك وهم يعصبون
من هذه النقوش المزهرة جباهك المبيضة ... "

صـــــوفى : صديقى العجوز ، لقد جئت لكى أخلصك . هيا ، أيها المجانين الصغار ، دعونا نتنفس ! ارقصوا ، دوروا ، لفوا ! أما نحن فإننا نخرج من التيار ، نحن معشر المسنين ...

ديـــنـــى : إننى أحتج ! ليس فيكم مسن غيرى .

صـــــوفى : أيها الأنانى !

أوراس ولودوبيسكا : إننا نحتج جميعا ! هذه نكتة !

صـــــوفى : لقد قطعت الآن نصف الطريق . **(مخاطبة دينى بايو)** مهما تحتج ، فأنا فى جانبك .

ديـــنـــى : حظ سعيد ! لن أقول كلمة بعد ذلك .

لودوبيـسكا : أما نحن ، فإننا لن ندعه يسلبك منا ! كلا ، كلا ، أنت منا . أنت الأصغر سنا !

صـــــوفى : **(وهى تكشف فوق صدغها عن جديلة بيضاء)** انظروا إلى هذا الشعر الأبيض !

لودوبيـسكا : ما أجمله ! إن كلاً منا ، لو بحث جيدا فى رأسه لوجد مثله .

أوراس : عندى منه ، أنا أيضا .

لودوفيسكا : وأنا .

كلوريس : وأنا .

الجميع : (**ضاحكين**) لا ؟

كلوريس : صحيح ! عندى واحدة .

(**تظهرها**)

صوفى : إنها شقراء .

كلوريس : إنها بيضاء .

أوراس : ومن ذا الذى لا يكون عنده شعر أبيض ، بعد كل ما قاسيناه منذ خمسة شهور ؟ !

لودوفيسكا : خمسة شهور ! قل الضعف !

كلوريس : قل ثلاثة أضعاف .

أوراس : كلا ، علينا ألا نتحدث إلا عن هذا الشتاء ! أما الباقى ...

ديني : نعم ، الأفضل أن نسكت .

كلوريس : آه ! كل ما قاسيناه !

لودوفيسكا : بلا نارٍ لمدة أسابيع كاملة .

ديني : بلا خشب ، ولا خبز !

كلوريس : أوه ! أما أنا فقد كنت أشعر بالبرد لدرجة أننى كنت أجد الشجاعة الكافية فى الصباح ، لكى أغادر فراشى .

لوزوفيسكا : أما أنا ، فكنت أتجمد فى فراشى . لقد أصبح الآن كبيرا جدا !

أوراس : (**بغمزة**) لابد من ملئه .

ديـــــنـــــى : ذات مرة ، قضيت ست عشرة ساعة فوق رصيف بيرسى ، بين السابعة مساء والحادية عشرة صباحا ، فى مهب الريح الشمالية الباردة ، وأنا أنتظر توزيع جوال من الخشب وربع كيلو من الدقيق ، تحتَّم على بعد ذلك أن أجرها على عربة يد بعجلة واحدة فوق الجليد. ولقد سقطت مرتين .

صـــــــوفى : أيُّهما الأقوى ؟ الجوع أم البرد ؟

أوراس ولودوبيسكا : أوه ! الأسوأ ، هو البرد !

أوراس : كلا ، الجوع .

لودوبيسكا وكلوريس وصوفى : البرد ، البرد ، البرد !

أوراس : الجوع ، الجوع ، الجوع !

لودوبيـــسكا : أيها الشره !

كـــلـــوريـــس : أوه ! إننى أفضل مائة مرة ألا يكون لدى ما آكله وأستطيع فقط أن أدفئ قدمىَّ خمس دقائق .

لودوبيـــسكا : أما أنا ، فإن ذلك يبكينى ! (**أوراس يضحك**) تضحك أيها المتوحش ... أوه !
أنت ، أنت لا تعرف شيئا !

أوراس : فى جيش موزيل ، نمت فوق الجليد ... صحيح أننا كنا نحرق كوخا صغيرا فى بعض الأحيان لكى نستدفئ

ديـــــنـــــى : والذين كانوا بداخله ؟

أوراس : لم نكن نهتم بالنظر إلى ما بداخله .

كـــلـــوريـــس : أما أنا ، فعندما كان يبلغ بى البرد أشده ، كنت أفضل ، أجل ، أجل ، كنت أفضل أن أحترق !

لودوبيسكا : ويصفون جهنم بأنه مكان نُحمى فيه .

أوراس : إن جهنم هى أن نذهب إلى العدو ببطون خاوية .

أوراس ولودوبيسكا : البرد !

أوراس : كلا ، الجوع !

صوفى : لقد قاسينا من الاثنين . هيا ، لا مجال للغيرة !

كلوريس : يا إلهى ! كم كان الوقت طويلا! ذلك الشتاء ، ذلك الشتاء الذى لم يكن يريد أن ينتهى !

صوفى : لقد انتهى الآن . فلا نتحدث عنه بعد ذلك . ولنتمتع بالشمس الجميلة !

ديني : أول يوم جميل من الفصل الشاب... صديقتنا الساحرة ! يا لها من فكرة جميلة أن تقومى بدعوتنا للاحتفال به فى حديقتك !

لودوبيسكا : تمجيدا للربيع ، الذى يُبعث فى زنبقتك المزهرة !

صوفى : هل كان بوسعى أن أحتفظ به لنفسى ؟ فى زمن المجاعة هذا ، يجب على كل منا أن يتقاسم مع أصدقائه فتات سعادته .

لودوبيسكا : نعم ، إن السعادة أصبحت نادرة !

ديني : السعادة ؟ لقد أصبحت بالنسبة لنا كلمة غريبة .

كلوريس : ما أطول الزمن الذى مضى دون أن نضحك ! أوه ! يا إلهى !

(تجهش بالبكاء)

صوفى : حبيبتى ،حبيبتى ، ماذا بك ؟

كـلـوريـس : هل من حقنا أن نضحك ؟

ديـــنـــى : نعم ، فقد تألمنا أكثر من اللازم .

صـــــوفى : (**مخاطبة كلوريس**) ولكننى أعتقد تماما أن هذا من حقنا يا حبيبتى ، بل من واجبنا .

كـلـوريـس : وكل من فقدناهم .

لودوييـسكا : زوجى .

كـلـوريـس : وخطيبى .

ديـــنـــى : وابنى .

صـــــوفى : صه ! صه !

أوراس : (**مخاطبا لودوييسكا**) وأولئك الذين سنفقدهم ، ألا تهتمون بهم ؟

لودوييـسكا : أولئك الذين معنا ، أحتفظ بهم . لا أريد أن أفقدهم . كلا ، لا أريد ذلك !

أوراس : إذن ، علينا ألا نفكر فى الآخرين ! ولنرقص !

لودوييـسكا : فلنرقص ، أيها الخبيث !

أوراس : (**مخاطبا كلوريس**) وأنت أيضا ،يا صديقتى الصغيرة .

(كلوريس تتردد وتنظر إلى صوفى)

صـــــوفى : هيا ، يا صغيرتى .

أوراس : هيا ، فلنستأنف الرقصة !

(الشبان الثلاثة يخرجون إلى الحديقة ويبدءون من جديد فى الغناء والرقص . دينى وصـوفى ظلا فى حـجـرة الاستقبال ، جالسين إلى اليسار ، بين المكتب والباب الداخلى ، بالقرب من الدرابزين)

ديـــنـــى : كل يفكر فى أحزانه : هذه فى خطيبها ، وتلك فى زوجها ، وأنا أفكر فى ولدى ،الذين ماتوا ... ولكن الحياة أقوى ...

صـــوفـى : حتى عندك ، يا صاحبى العجوز ؟

(طوال هذه البداية من الفصل ، تحتفظ صوفى بهدوء لطيف باسم ، يتميز عن الاضطراب الذى يموج فيه الآخرون)

ديـــنـــى : حتى عندى ... إننى أشعر بالخجل .

صـــوفـى : لستم وحدكم . اسمعوا !

(من الجهة الأخرى لجدار الحديقة ، يسمع فى الشارع مرور أصوات تغنى . كمان ، ناى ، طبلة ، صيحات فرح)

ديـــنـــى : نعم ،هذا الحشد الذى يمر وهو يغنى طربا ،لا يوجد فيه واحد لم يلق نصيبه من المعاناة ، وقسطه من التضحية فى الحرب أو الثورة ، لا يوجد واحد غده ليس مثقلا بالقلق كما كان أمسه مثقلا بالعذاب .

صـــوفـى : لذلك فهم يغنون : حتى يكفوا عن التفكير فى ذلك .

ديـــنـــى : لأنهم يفكرون رغم كل شىء . انظرى !

(الرقصة توقفت فى الحديقة)

أوراس : ماذا تسمعون فى الخارج ؟ ... فلننصت ...

(يصمتون لكى يسمعوا ، فى الخارج ، صوت بائع الجرائد)

أوراس : **(مكررا)** " بريد المساواة ... معركة كبرى فى ... العدو على ... "

(يجرى نحو الجدار ، يتسلق الحافة ، يمد يديه من فوق القمة ، ينادى البائع)

بست ! ... أيها المواطن ... شكرا ! .

(يعود بالصحيفة . تسرع المرأتان وتلتفان حوله ، لكى تقرأها)

أوراس : قوات الملوك يعيدون تكوين صفوفهم ، من نهر الموز حتى الراين .

الجمهورية يجب أن ترد عليهم بمجهود ضخم . شمس الربيع تضرم السعير . سيتحتم علىَّ أن أعود إلى هذا السعير.

لودوبيسكا : كلا ، كلا ! لا أريد ذلك !

ديـــنـــى : ماذا نحن لكى نقول : " أريد " أو " لا أريد " ؟

أوراس : نعم ، إن الوطن يريد ذلك .

كـلـوريـس : الوطن ؟ بل قل : " هؤلاء الرجال المرعبون ! ...

لودوبيسكا : نعم ، اللجنة العليا .

(صوفى تضع أصبعا فوق فمها . الجميع يخفضون رءوسهم)

أوراس : إنها على صواب .

ديـــنـــى : **(يسعل)** إنها هى الأقوى .

كـلـوريـس : إنها كالغول وستلتهمنا جميعا .

لودوبيسكا : **(تختم بيدها على فمه وتخاطب أوراس)**

ولكن ، على الأقل ، ليس الآن فورا . أوراس ، لن تذهب الآن فورا ؟

أوراس : كلا ،على ما أعتقد ،اللهم إلا إذا صدر أمر مفاجئ .

لودوفيسكا : كم من الوقت أمامنا ؟

أوراس : ربما شهر .

لودوفيسكا : أوه ! شهر ... بل هو الأبد ...

ديـــنـــى : ياللشباب السعيد ! ما الذى لا نقبله نظير شهر من السعادة .

كـلـوريـس : وأنا أيضا ،أنا شابة . ولم أتمتع به ،لم أتمتع به ... أوه ، بل إننى ما كنت لأطلب شهرا كاملا ... ولكن يوما ، يوما من السعادة !

صـــوفى : هدئى من روعك ، يا حبيبتى ، فستتمتعين به ، وبكثير غيره ؛ فالحياة أمامك لاتزال طويلة .

كـلـوريـس : كلا ، كلا ، الحياة قصيرة .

صـــوفى : إن عمرى ضعف عمرك .

كـلـوريـس : نعم ، على عهدك ... آسفة ! ... ولكن ، اليوم ، لم تعد الحال كما كانت .

فمن ذا يضمن الغد ؟

لودوفيسكا : أنا . أضمن اليوم .

(تنظر إلى أوراس)

أوراس : **(وهو بالقرب منها ، يتناول يدها ، ويهمس لها)** هذه الليلة ...

(كلوريس ، وقد سمعت الجملة ، تحدجهما بنظرة حاقدة)

لودوفيسكا : **(تلاحظ ذلك فتقبل باسمة نحو كلوريس الجالسة فوق ركبتى صوفى وتحاول أن تداعبها)** حبيبتى الجميلة !

كـلـوريـس : (**وهى تخلص نفسها فى غضب**) كلا ،لا تلمسينى
(**تفر إلى الحديقة**)

لودوويـسكا : ماذا بها ؟

ديـــنـــى : (**بشىء من العتاب**) أنت تعرفين السبب جيدا .

أوراس : إنها تحسدنا .

ديـــنـــى : إنها ليست الوحيدة .

صـــــوفـى : (**مبتسمة لدينى و أوراس**) اذهبا لمواساتها !
(**مخاطبة لودوويسكا**) كلا ،أنت لا ، أيتها الأنانية ، ابقى هنا !
(**دينى وأوراس يخرجان . تبقى صوفى و لودوويسكا وحدهما . لودوويسكا ضاحكة ، سعيدة ، تلقى بنفسها على ركبتى صوفى الجالسة وتضمها بين ذراعيها**)

لودوويـسكا : نعم ، أنا كذلك ، أنانية ، أنانية ، أنانية ! ولا أحب ألا أن أكون كذلك ، عندما يكون جميلا أن نكون كذلك ! عنفينى ! عنِّفينى !

صـــــوفـى : (**مبتسمة**) لن يجدى ذلك شيئا .

لودوويـسكا : أوه ! أجل ! إن هذا يزيد من متعتى ... كلا ، لا تحقدى علىَّ ! فلطالما ، لطالما قاسيت ! ... زوجى ، هكتورى ، ينتزعه ، من بين يدى الموت اللدود!... آه ! كم بكيت !

صـــــوفـى : متى فقدته ؟

لودوويـسكا : (**ببساطة**) قبل ستة ... كلا ، قبل خمسة شهور ... أجل ، كان ذلك فى أكتوبر . وأصبحت لا أطيق الحياة . لقد انتهى كل شىء بالنسبة لى ... وهاك كل شىء قد بدأ ...

(مستدركة) كل شيء قد بدأ من جديد ... هيكتور المسكين ! ... أوراس العزيز ! ...

صـــــوفى : كل أبطال العصور القديمة ...

لودويسكا : أرجوك أن تسكتى ! ... يبدو لى أن الأمر يختلف ... إننى أمنعك من السخرية .

صـــــوفى : إننى لا أسخر ...

لودويسكا : إننى على ثقة تماما من أن هكتور يستمتع معى ... تبتسمين ؟

صـــــوفى : وأنت أيضا .

لودويسكا : كلا ... نعم ... آه ! كم يلذ لنا أن نكذب على أنفسنا ،إن حاجتى إلى التمتع بمثل رغبتى فى أن يتمتع هو أيضا . إننى أعلم تماما أنه لم يعد يشعر بشيء. ولكن ، أنا ، أنا التى أحس ، هل أنا مخطئة ، قولى ، هل أخطئ فى حقه ، إذا كنت أريد أن أتمتع بهذه البقية من عمرى التى لازلت أحياها ؟ هل تظنين أنه يمكن أن يبغضنى ؟ كلا ، كلا ، يجب أن يسعد لما يسعدنى . أليس كذلك ؟ مادام كان يحبنى ! ... ثم مادام قد مات ! ... مسكين يا هكتور ! ... آه ! الحياة ، الحياة ، شيء جميل !

صـــــوفى : هناك حياة وحياة . الحياة بالنسبة لك ، هى الحب .

لودويسكا : **(فى الحوار الودى بين المرأتين ، يوجد – من جانب لودويسكا ، عندما تعجب بحكمة صوفى – نرة من السخرية ، ومن جانب صوفى ، نرة من القنوط الباسم ، وهى تتقبل ثناها)**

ليس هناك حياة إلا بالحب ... تبتسمين ثانية يا صديقتى العاقلة ،أجل ، فأنت ، أنت فوق مستوى ضعفنا . إنك تعيشين حياة جميلة ، واضحة تماما ، مترابطة تماما . ولقد عرفت كيف تحمينها من العواصف الاجتماعية ومن اضطرابات القلب . أنت محظوظة . إنك تتمتعين برباط زوجى لا تعكره سحب، لم تنل منه نزوات العواطف أبدا ، يسوده الصفاء ويكاد يكون نبويا، - بصحبة رجل عاقل - مثلك - رجل مرموق ، محترم ، تربطك به ، منذ الطفولة ، روابط حنان ورع ، سماء صافية . آه ! كم أعجب به !

صـــــوفى : (**مبتسمة**) ولكنك قد لا تنزلين عنه مقابل سحابة من سحبك .

لودوبيـسكا : مقابل حبيبى أوراس ؟ كلا ، كلا ! لا أنزل عنه . لكن منا نصيبها ! لكـن نصيبك أجمل .

صـــــوفى : إنه أشبه بتلك النساء الجميلات ، اللائى يثرن إعجاب الجميع . لكننا نحب غيرهن .

لودوبيـسكا : اسكتى من فضلك ! إنما نتمنى أن نكون أنت . لكن ليس هناك سواك من يستطيع أن يكون أنت ...

صـــــوفى : (**مبتسمة**) هذا بالضبط ما قلته الآن !

لودوبيـسكا : **(التى لم تسمع)** ... الصديقة ، موضع سر الرجل العظيم ، بل ملهمته ، الرجل العظيم الذى كان صديقا لفولتير ، وهو الآن صديق " كارنو "

ديـــنـــى : **(الذى دخل منذ قليـل وسـمع الجملة الأخـيرة)** الذى كان مستشار دائـرة المعارف ، وهو الآن مستشار اللجنة العليا. عالم . محب للإنسانية ، فيلسوف ، عضو فى مجمع اللغة ولجنة الميثاق ... مجد تأسس فى ظل الملك الأسبق ، وبقى ثابتا بعد سقوط الملوك ، ويرى النظم تتوالى فارضا نفسه عليها جميعا ، وظل حصينا وسط الاحزاب الهائجة التى تمزق بعضها

صـــــوفى : يا أصدقائى ، إنكم لا تدرون على أية أسس واهية يقوم هذا الأمان

ديـــنـــى : على أية حال فنحن نعلم أنه ليس أنانيا . فكم من مرة خدمنا مركز چيروم كورفوازييه " تارة ليخفف عنا جانبا من بؤسنا وتارة ، ليشمل بحمايته الأصدقاء المهددين فى الساعات الحرجة

لودوفيـــسكا : ونحن نعلم ايضا لمن ندين بهذه الحماية ، للرفيقة المقدسة

ديـــنـــى . صوفى مثل القديسة صوفى ، اسم على مسمى [1]

لودوفيـــسكا : الحرية المطمئنة

ديـــنـــى : تلك التى نستطيع ان نحصل منه على كل شىء .

لودوفيـــسكا . انا معه

[1] إشارة إلى القديسة صوفى

ديـــنـــى : وكيف لا نكون معه ؟ لقد ظل "چيروم كورفوازييه"، فى هذا العصر المجنون ، الرجل الوحيد الذى لايزال يمارس دورا ملطفا ، لدى سادة الحياة والموت .

صـــــوفى : واسفاه ! إن هذا الدور ضعيف ، ويزداد ضعفه يوما بعد يوم .

لودوييـــسكا : **(بشىء من الحسد)** مهما يحدث ، فأنت على الأقل فى أمان ، لا شىء يمكن أن يصيبك .

كـلـوريـس : **(راجعة مع أوراس . لقد نسيت تماما الحزن الذى انتابها قبل قليل)**

أوه ! البؤساء ! البؤساء !

صـــــوفى : ماذا إذن ؟

كـلـوريـس : ذلك الذى عرفناه الآن .

(تقدم جريدة إلى صوفى)

صـــــوفى : صحيفة أخرى من تلك الصحف المخيفة . كلا . لا يجب أن نقرأ شيئا بعد الآن !

لودوييـــسكا : أيتها الآمنه المطمئنة ، إننا لا نملك مثلك السبب الذى لا يجعلنا نقرأ . نحن نعرف أنه شىء مؤلم . ولذلك فنحن نمارسه .

(تناولت الجريدة)

كـلـوريـس : كلا ، اسمعوا ! إنه لشىء فظيع ! بيتيون ، وبوزو ، وفالليه ...

صـــــوفى : **(فى هلع ، ولكن بصوت متماسك)** فالليه ! ...

(نهضت من فوق مقعدها . لا أحد من الآخرين يعير حركتها أو صرختها أى انتباه . الجميع ملتفون حول لودوبيسكا التى تمسك بالجريدة)

كلوريس : فى بوردو ، وجدوهم ، قتلى ، وقد التهمت الذئاب أنصافهم ...

(وسط الاضطراب العام ، لا أحد يلمح اضطراب صوفى ، التى تسقط جالسة، دون حركة ، ودون كلمة . تغطى وجهها بيديها ولا تتحرك)

أوراس : **(يوجز ما قرأه ، لودوبيسكا و كلوريس و دينى يميلون معه فى لهفة على الجريدة)** منذ شهور ، وهم يطاردونهم . والكلاب التى أطلقوها وراء الأثر قادتهم إلى كهف ، فى محجر مهجور . وقد تعرَّفوا بيتيون وقد برزت أحشاؤه من بطنه ...

دينى : ملك باريس القديم ، عمدتنا ، ورئيس المجلس الذى كانوا يتملقونه ...

لودوبيسكا : **(تقرأ)** والآخر ... وقد أكل وجهه ... أوه ! أعوذ بالله ...

(تعطى الجريدة للآخرين)

أوراس : **(مواصلا)**... وانتزع أنفه ، وشفتيه ... كانوا يشكون فى الأمر ... قالوا : إنه بوزو ... ولكن الأوراق التى كانت فوق الجثة كانت تقول : إنه فاللیه .

كلوريس : مساكين !

ديـــنـــى : لا تسـرفى فى رثائهم ! لقـد وجـدوا طريقـة للهـرب من المقـصلة التى صـعـد فـوقـهـا فى الأسـبـوع الماضى أصدقاؤهم ومنهم " باربارو " و " جوديه "

لودوبيـسكا : نعم ... ولكن كم تعيَّن عليهم أن يتعذبوا قبل ذلك !

أوراس : وبعد ، فالأمر سيان ..

ديـــنـــى : هكذا كـان من المفـروض أن ينتـهى ذلك ... ذلك التـمـرد المجنون ...

كـلـوريـس : ولكنك كنت تؤيدهم قبل فترة قصيرة .

ديـــنـــى : أبدا !

كـلـوريـس : لقد سمعتك تقول ...

ديـــنـــى : أبدا !

كـلـوريـس : كنت تعجب بهم جميعا

لودوبيـسكا : اسكتى ، أيتها الصغيرة !

(صمت قصير)

ديـــنـــى : **(وهو يسعل)** لقد خدعوا الجميع . كنا نظنهم الجانب الأقوى . لماذا نثور إذا كنا نمثل الجانب الأضعف ؟

(صـمت . صـوفى تكشف عن وجـهـهـا وتظل ثابتـه فى كرسيـها ، ناظرة أمامـها، وقد ذهب عنها انفعـالها ، بابتسامة آلية جامدة)

كـلـوريـس : فالليه المسكين الصغير ! لم يكن بلغ الثلاثين من عمره !

لودوبيـسكا : لقـد رقصـت معـه ، فى ربيـع ذلك العـام ... لقـد كان من أصـدقائك أيضـا يا صوفى

(صوفى لا تجيب ولا تتحرك . لودوبيسكا من الحماس بحيث لم تلحظ ذلك ، تواصل كلامها)

لودوبيسكا : راقص ساحر فاتن !

كلوريس : وما كان أبرعه فى إلقاء أشعار فلوربون !

لودوبيسكا : كان كذلك شجاعا باسلاً . إننى أراه على رأس كتيبه ، وهو يسير ، وقد تناثر شعره فى الهواء ، بعد مهاجمة قصر التويلرى .

كلوريس : كانت متعة لنا أن نذهب لنراه وهو يخطب فوق منصة المجلس .

أوراس : كان ساخرا وعنيفا . كانت كلماته تتسم بدهاء رهيب ، وكانت تجعل عينى روبسبيير تكثر من الرمش خلف نظارته القديمة . عندما كان يخطب أحد أعدائه كنت المنصات والصالة تموج بالضحك والصراخ ، تحت وقع القذيفة.

لودوبيسكا : أما أنا ، فقد كنت أنظر إلى شفتيه

أوراس : لودويسكا ، إننى أشعر بالغيرة .

ديـــنـــى : الغيرة ؟ من شفتيه المنزوعتين ؟

لودوبيسكا : آه ! ياللفظاعة !.. ولكن لماذا ، لماذا راح يحترق بنار السياسة !

أوراس : إن لدينا مثل طموحه ...

لودوبيسكا : الحب ، أليس أفضل من ذلك ؟

أوراس : إننا نريد أن ننقذ الوطن .

لودوبيسكا : إننى أريد أن تنقذنى أولا !... يجب على المرء أن ينقذ من يحب .

ديـــنـــى : بل يجب أولا أن ينقذ المرء نفسه ...

(يصيحون دهشة)

أجل ، تدهشون !... سوف ترون ، أيها الشبان ، حينما تصبحون فى مثل سنى!... الطموح والحب ، شىء جميل ، ولكنه يزول . إن الذى يبقى حتى النهاية ، هو الفرد نفسه . والمحافظة عليه مهمة مقدسة .

أوراس : أجل ، أن ينجح الإنسان فى أن يعيش أمر أصبح فى أيامنا مهنة صعبة . ولن يتوافر لنا الوقت ، نحن أيضا لكى نتعلم ذلك .

كلوريس : ولكننى أريد ذلك ، أنا ، أريد ذلك ! **(مخاطبة دينى)** علمنى السر ...

ديـــنـــى : السر هو ألا نكترث . يجب على المرء يا ابنتى أن يختار ، إما أن يرى غيره يموت وإما أن يموت هو .

كلوريس : إننى لا أريد أن أموت !

(الشلة الصغيرة : كلوريس و دينى و أوراس ، ابتعدت وهى تتحدث وتضحك. تبقى لودوبيسكا وحدها بالقرب من صوفى . المرأتان موجودتان فى الركن المحجوب عن الأنظار المتجهه من الحديقة ، بين المكتب والدرابزين)

لودوبيسكا : صوفى أيتها الصامته ، إنك تتركيننا نتحدث ، ونتحدث ، ونضطرب ، وأنت ، أنت تظلين مكانك ، متفرجة عطوفة

وغريبة بعض الشيء . ثابتة ، متكئة وكأنك متكئة على شرفتك ، تتطلعين إلى انفعالاتنا من بعيد ، بعينيك الجميلتين الرماديتين وابتسامتك الصامتة . كم أنت هادئة ، هادئة !

صـــــوفى : **(دون أن تتحرك ، دون أن ترفع صوتها)** أجل ، الهدوء ، هدوء وألم ليس له من قرار .

لودويبـــسكا : **(مأخوذة)** صوفى !...

(صمت)

ماذا تقولين ؟...

(صمت)

ماذا قلت ؟...

(صوفى لا تجيب ، لا تأتى أية حركة . لكن لودويبسكا التى مالت عليها لتتفرسها ، تندفع نحوها بشدة)

لودويبـــسكا : صديقتى ، تبكين !

(صوفى تضع يدها فوق فمها ، لتشير إلى لودويبسكا بالسكوت)

(صمت)

(صوفى تبحث عن منديلها لتجفف دموعها . لودويبسكا تتناول منديلها ، وبرقة ، تجفف عينى صوفى)

لودويبـــسكا : هل تتألمين ؟ أنت يا من تبدين للجميع صورة للهناء ! ... أنت يا من تملكين كل شيء . كل الخـــيـــر : الحب ، والشـــهـــرة ، والسلطان ، والإيمـــان بهـــذه الثورة ،التى ساهمتِ وزوجك فى إشعالها ...

صـــــوفى : (**متماسكه**) ليس بى شىء .

كوبيـــسكا : كلا ، كلا ! لا أصدقك !

(صوفى تشير إليها بالسكون . دينى بايو يقترب)

ديـــنـــى : أليس من المفروض أن يعود چيروم بعد قليل من المجلس ؟

صـــــوفى : **(تستعيد لهجة المحادثة)** لا يمكننا بأى حال أن نتنبأ بالفترة التى تستغرقها الجلسة . لقد كنت فى بعض الأحيان أنتظره طوال الليل ، حتى الفجر .

ديـــنـــى : ومع ذلك فلا يلوح البوم أن أحداثا خطيرة ..

صـــــوفى : فى أيامنا هذه ، من يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث قبل وقوعه بساعة واحدة .

(فى الشارع خلف جدار الحديقة ، يسمع مرور موكب ، وموسيقى وزمامير وطبول ، صوت عربات ، وخيول تعدو ، وصياح جماهير)

كلـــوريـــس : ماذا هناك ثانية ؟

أوراس : إنها المجموعة الجديدة التى تمثل طعام المقصلة .

(يأتى حركة قطع الرقبة)

كلـــوريـــس : **(وهى تسد أذنيها)** لا أريد أن أسمع ...

(ترفع يديها عن أذنيها ، وتجرى ناحية الحديقة)

أوراس ، هيا نشاهدهم :

(تخرج مع أوراس)

ديـــنـــى : إذن فالعربة تمر من هنا ، الآن ؟

صـــــوفى : أجل ، إن شارع فلورنتان ، فى هذه الأيام ، منزوع البلاط .

(دينى يخرج ، يدفعه الفضول ، فى إثر الاثنين الآخرين)

لودوفيسكا : (وقد بقيت وحدها بالقرب من صوفى)

صوفى ، إننى لا أصدقك ! . كنت تقولين منذ بر هة

صـــــوفى : دعينا من ذلك !

لودوفيسكا : كلا ، كلا ، أرجوك ! اعتبرينى صديقة لك

(صوفى تشير لها نحو باب الحديقة)

لودوفيسكا : أجل ، هذه الضوضاء البغيضة . .

(تسرع بغلق الباب وتعود . أصوات لحن السير السريع والصيحات لاتزال تصل الآذان ولكنها أصبحت خافتة)

لودوفيسكا : قولى ! أخبرينى ! **(تتناول يديها وتقبلها)** صوفى ، أنت ظالمة . ألم تحصلى على نصيبك الجديد من السعادة ؟ وما من شىء عكّر صفو زواجك أو حبك

صـــــوفى : (بمرارة) حبى ؟ لم يحبنى أحد لقد حملت شبابى ، وقوة أملى ، وحاجتى إلى وهب نفسى إلى رجل كنت أحترمه . ولا زلت أحترمه وأعجب به

فلماذا صنع ذلك ؟ لقد ضحى بى فى سبيل عقيدته

لودوفيسكا : أولا تؤمنين بها أنت أيضا ؟

صـــــوفى : إيه ! وفيم تهمنى عقيدتهم ؟ إذا كنت أحبها ، إذن كنت أعتقد أننى أحبها . فذلك لأنهم كانوا يحبونها هى . إنهم هم الذين كنت أحبهم من خلالها فلماذا جعلت منهم ومنى

لودوفيسكا : (التى تحاول أن تفهم) تقويم هذا ؟

صـــــوفى : **(بحدة)** أقول إننى أكره هذه العقيدة ، أبغضها ... أسمعى ! ...

(يسمع على الرغم من الباب المقفول الذى يحد من شدة الضوضاء جلبة صائحين وضحكات عنيفة . ثم تخف الضوضاء ، ويخيم السكون من جديد ، وتستأنف صوفى ، بحقد مكظوم ، وبصوت خفيض :)

صـــــوفى : إننى أكرهها ، كل هذه العقائد ، الواهية ، المهووسة التى يتهافت عليها الرجال ، كما يتهافتون على الرذيلة التى تدمر الحياة . إن الحياة ، هنا ، بالقرب منا ، فى منتهى البساطة ، فى منتهى الوداعة ! ليس علينا إلا أن ننحنى لقطفها . ولقد أصبحوا عاجزين عن تذوقها . إن عقيدتهم هوس ، سم زعاف يغرقهم فى جنون مؤقت قاصف مميت . لقد ضحوا بى فى سبيلها ... آه! وهذا أيضا ما كان يهمنى ! ...

لودوبيسكا : **(نظرتها معلقة بشفتى صوفى)** ماذا إذن ؟

صـــــوفى : لقد ضحوا بأنفسهم .

لودوبيسكا : كيف ! زوجك ؟

صـــــوفى : كلا ، ليس هو .

لودوبيسكا : من إذن ؟

صـــــوفى : **(وكأنها مكرهه ، تدفعها العاطفة)** لقد سمعت ... قبل قليل ... هؤلاء البؤساء ... هؤلاء الذين حكموا عليهم بالنفى من البلاد ...

لودوبيسكا : (كاتمة صرخة) فالليه !

(تنهض صوفى لتهرب من الإجابة . فى هذه اللحظة ، يفتح باب الحديقة من جديد وتدخل كلوريس فجأة ، وتصيح:)

كلوريس : أه ! خمنى ، خمنى ، من الذى رأيته فوق العربة !

(صوفى تلتفت ، ولودوبيسكا تبعد كلوريس بحركة)

كلوريس : **(فى غاية التأثر)** كلا ! خمنى ، خمنى ، يقطعون رقبة من الآن ! ...

العقل ، عقلهم فى سان أوستاش ، عقلهم المفكر الذى كانوا يتوجهون إليه بصلواتهم ... لقد عرفته ... العقل ، العقل ! ...

دينى : **(بلهجة فلسفية)** منذ زمن بعيد ، يا ابنتى راح العقل وانصرف ! ...

كلوريس : أوه ! هلا سكتِّ ، بكلماتك المجوجة !

(يواصلان التحدث فى أقصى حجرة الاستقبال ، إلى اليسار ، بالقرب من باب الحديقة كأنما قد شعرا بأنهما يفسدان على صوفى ولودوبيسكا حديثهما . هاتان الأخيرتان انسحبتا إلى الركن المقابل ، إلى اليمين بالقرب من الدرابزين محتميتين بالمعزف الكبير الذى يحجب عنهما رؤية الباب الأيمن فوق السلم. لكنهما جالستان أمام المرآة الموجودة على الجدار الأيسر ، والتى ينعكس عليها هذا الباب)

لودوييسكا : **(تناولت يدى صوفى ولا تتركها رغم محاولات صوفى التخلص)**

(بصوت خفيض ولحوح) إنه فالليه ؟ ... صوفى ، أخبرينى ، أهو فالليه ؟

صـــــوفى : **(جالسة ، ويداها فى يدى الأخرى ، تحول رأسها بألم)** آه ! لا تطعنينى مرة أخرى ، باسمه !

لودوييسكا : **(تاركة يدى صوفى ، وقد فاضت بها الشفقة)** أوه ! حبيبتى المسكينة ! هل كان بوسعى أن أتصور ؟ ... كم أرثى لك ! شىء فظيع ! .. ونحن الذين كنا ، قبل قليل ، نغمد الخنجر فى قلبك دون أن نعلم ، آسفة ، سامحينى ! ولكن من كان يخطر بباله ؟ أجل ، لقد لاحظت منذ وقت قريب .

صـــــوفى : **(بصوت خفيض عاطفى)** كنت أحبه. وكان يحبنى . كان كل حياتى . وكنت كل حياته ... ذلك ما كنت أعتقده ، على الأقل . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ، مادام قد راح ليموت من أجل تلك العقيدة المشئومة ... آه ! إذا كان قد ضحى بنفسه فى سبيل تلك العقيدة ، أفلم أضح أنا أيضا ، ألم أضح بنفسى أيضا فى سبيل عقيدة أخرى ؟

لودوييسكا : أية عقيدة أخرى ، يا صوفى ؟

صـــــوفى : **(بحقد)** ذلك الشرف العائلى ، الذى حافظت عليه دائما

لودوييسكا : صوفى ، أخبرينى بكل شىء ! ... ألم تكونا حبيبين بعد كل منكما الآخر ؟

صـــــوفي : (**بانفـعـال مـتـزايـد**) نعم لم تكن . وهذا هو سبب شقائي اليوم ، فبينما كان يتوسل إلي وحبنا كان قلبي يدفعني إلى التسليم له كانت هذه هي وصية والدي ، وخرافة الوفاء التي تعتبر عنده أكثر منها تعقلا وعقلا . ذلك الذي نسميه فضيلة . ذلك الصنم المعبود بلا عيون . لقد ضحيت في سبيله بكل شيء . بكل ما كنت أحب في هذه الدنيا . والآن ، لقد مات . والآن فقدته . فماذا أفاد ذلك ؟ ماذا ؟

(**الآن ، نودويسكا هي التي تحاول تهدئة صوفي ، التي راح صوتها يكتسب نبرات ألم عاطفي . تشير إليها باتخاذ الحذر . لكن بقية الشلة التي وقعت في محادثة صاخبة ، لا يبدو أنها تلاحظ شيئا**)

صوفي تلزم الصمت . نودويسكا تحدثها بصوت خفيض . لم نعد نسمع سوى أصوات وضحكات الشلة الصغيرة المكونة من الأصدقاء الثلاثة المتواقفين في الزاوية اليسرى حجرة الاستقبال بالقرب من النافذة المطلة على الحديقة .

المشهد الثانى

(على حين بغتة ، يحل صمت أشبه بالموت . الباب المفضى إلى السلم فتح منذ لحظة ، فى مواجهة الأصدقاء الثلاثة (دينى و أوراس وكلوريس) . لكن صوفى ولودوييسكا اللتين توليانه ظهريهما واللتين يحجبهما المعزف ، لا تريان شيئا مما يحدث)

رجل دخل . فى زى الشعب ، جاكونى ، الشريط فى قبعته . يغطيه الوحل، يبدو عنيفا أشعث . إنه شاب ، نحيف ، قوى ، ذو عينين متقدتين . يبدو أن هناك من يطارده . فتح الباب بقوة ، وبمجرد أن دخل أعاد غلقه بقوة أيضا ولكن بلا ضوضاء ، وهو يرصد سكون السلم . ثم يعود ، ويستند إلى الباب فى مواجهة الشلة الصغيرة التى رأته وهو يدخل . الثلاثة تأخذهم الدهشة . تصدر عنهم حركة فزع ، ولكنهم من الانفعال بحيث لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة .

فى هذه اللحظة ، صوفى و لودوييسكا متحصنتان فى صمت . لودوييسكا تلتفت ناحية الشلة جهة اليسار فترى ، دون أن تدرك ، الوجوه مضطربة . صوفى ، وهى ترفع نظراتها آليا إلى المرآة الكبيرة ، فوق المدفأة ، تلمح فيها الصورة المعكوسة للرجل المستند على الباب ، تنهض مطلقة صرخة لم تُلحظ وسط الاضطراب العام . ففى اللحظة نفسها ...)

دينى وأوراس وكلوريس (**يطلقون صرخة**) : فالليه !

فـــالليـــه : (**الذى لم يكن ينتظر أن يجدهم مجتمعين**) دينى بابو ... بوشيه .. كلوريس ... أصدقائى ...

(**صوته مبحوح من فرط التعب والانفعال . يتجه نحوهم بقوة ، ويمد لهم يده فيتناولونها بارتباك وحرج . لكن عينيه تبحثان ، وراءهم ، وحولهم ، داخل حجرة الاستقبال ، عن تلك التى لم يرها . وفجأة يراها . الباقى لم يعد له وجود بالنسبة له . صوفى واقفة ، تستند بيديها من الخلف على المعزف ، تنظر إليه ، عيناها متسعتان من الانفعال ، والخوف ، والسعادة . لم يعودا يفكران فى الآخرين . فاليه يسرع نحوها ، باسطا لها ذراعيه . فتقبل نحوه .**

فـــالليـــه : صوفى !

صـــــوفى : على قيد الحياة !

(**يلقى بنفسه عند قدميها ، يضم ساقيها ، يقبل ركبتيها من خلال ثوبها ، يقبل قدميها ، ثم ينتصب ، ويسند وهو راكع ، خده ، وعينيه وفمه على جسم المحبوبة التى لا تقاوم ، بل تداعب بيدها وجه الحبيب**)

فـــالليـــه : إنها هى ! لقد وجدتها ! .. إنها بين يدى ، أمسكها ، إنها بين يدى !

صـــــوفى : (**دون أن تخلص نفسها ، تتناول رأسه ، تنعطف على وجهه ، تسر إليه ، بصوت خفيض ، بحنان**) انهض !

(فالليه ينهض ، عيناه معلقتان بصوفى ، ولكن ، لا يكاد يقف ، حتى يترنح ، فتسنده صوفى)

صـــــوفى : سينهار ! .. أوراس ! لودوييسكا ! ... استند علىَّ يا حبيبى ! .. ماذا بك ؟

استند جيدا ! تعال ... هنا ... فوق هذا الكرسى .

(تقوده إلى أحد الكراسى ، فى ركن الحجرة ، إلى اليسار ، قرب الدرابزين . فالليه جالس ، فى مواجهة الجمهور وقد أدار ظهره لأقصى المسرح . لا هو ولا صوفى المنحنية عليه ، يريان ما يحدث خلفهما : دينى بايو ، أولا ، يختفى ، تتبعه بسرعة كلوريس ، ثم أوراس بوشيه الذى راح ، من مدخل باب السلم ، يشير إلى لودوييسكا لكى تلحق بهم . لودوييسكا ، مترددة ومتأثرة ، تنظر بالتناوب إلى فالليه الذى تسنده صوفى وإلى أوراس . تقرر آخر الأمر ، وتجتاز الحجرة ، لكى تأخذ وشاحها الموضوع فوق أحد الكراسى فى أقصى المسرح إلى اليسار . كل هذا يجرى خلال الفترة القصيرة التى استغرقتها صوفى فى توصيل فالليه إلى الكرسى وإجلاسه عليه)

صـــــوفى : (مواصلة حديثها مع فالليه دون أن تنظر خلفها) انك ميت من التعب

تمدد ألم تأكل .. كلوريس ! لودوييسكا ! ساعدونى اصدقائى ، حضروا شيئا من القهوة .. هنا خذه

فنجانا من فوق المنضدة ... **(تدهش للصمت فتلتفت)**
أين أنتم ؟ ... يا أصدقائى ...

فـــاللـيـــه : (ثابتا ، جالسا فوق الكرسى ، دون أن يرى ما يجرى ، لا يجد مشقة فى فهم الموقف) ألا تعلمين أننى خطير بالنسبة لكل من يقربنى ؟

(لودوبيسكا ، الوحيدة من بين الأصدقاء الثلاثة المتأخرة بسبب البحث عن وشاحها الذى اضطرها إلى اجتياز الحجرة مرتين ، كانت لا تزال عند عتبة الباب عندما التفتت صوفى ولمحتها)

صـــــوفـى : (ساخطة) لودوبيسكا !

(لودوبيسكا ، متأثرة وخجلة من النداء ، تتوقف ، تلتفت ، تتردد ، ترجع بضع خطوات ناحية صوفى التى تترك فاللیه وتتقدم نحوها . تهمس لها فى اضطراب)

لودوبيـسكا : (بسرعة وبصوت يكاد يكون خفيضا) آسفة ... آسفة ... ، هذا جبن ، أعرف ذلك ... لكن اليوم ... اليوم ، بخاصة ، أريد أن أعيش ! **(الكلمة الأخيرة لا تكاد تسمع . تخرج مهرولة)**

(صوفى ، بعد لحظة ، تعود إلى نفسها ، تذهب وتأخذ من فوق المنضدة فنجانا ، تصب فيه القهوة ، وتحمله إلى فاللیه مع شىء من الخبز)

فـــاللـيـــه : (لم يأت حركة) عليك أن تعجبى بقدرتى وسلطانى ! حيثما أدخل ، يدخل الخوف . هذا البائس **(يشير إلى**

نفسه) ، الذى لا يقوى حتى على الوقوف على قدميه ، يفر ، ويفرون منه . هاهى ذى خمسة أشهر وأنا أهيم على وجهى خلال فرنسا كلها ، مطرودا من كل سكن . كنا فى " دور دونى " سبعة رجال محكوما عليهم : بيتيون ، وباربارو ، وبوزو ، وجاديه ، وسال وفالادى . طرقنا أبواب ثلاثين صديقا . لم يفتح لنا واحد منهم . كنا نجر فى أقدامنا شبح المقصلة . كانوا يصابون بالرعب لرؤيتنا ، نحن وهى ، حتى إن واحدا دخلنا عنده صدفة، أراد أن يقتلنا ، ولما لم يكن هو الأقوى ، فقد هددنا، إذا بقينا ، أن يقتل نفسه .

(تندى عنه ضحكة عنيفة مريرة)

وذات ليلة ، سرنا تحت وابل الأمطار ، خلال الحقول المحروثة . إذ كنا قد اضطررنا إلى مغادرة المحاجر التى كنا نأوى إليها . بعد أن أبلغوا عن وجودنا فيها . أمل أخير كان يقودنا إلى عائلة صديقة لعائلتى منذ القدم : كنت، بصفتى محاميا ، قد أنقذت شرف أحد أفراد هذه العائلة فى قضية جنائية . كان الليل حالكا ، فضللنا الطريق . كنا نغوص فى الوحل حتى أفخاذنا . فألتوت ساقى . وبعد ست ساعات من السير ، وصلنا ، منهكين . فطرقنا الباب . ومضت نصف ساعة من الانتظار . تحت وابل المطر والريح الباردة ، كانت أسناننا تصطك . وانفرج الباب . فصرّحت باسمى .

فأغلق الباب من جديد . ومضت نصف ساعة أخرى انتابتنى رعدة وفقدت الوعى ... وبعد ساعة من المداولة ، أجابوا خائفين بأنهم لا يستطيعون استقبالنا . مكثت مترددا فى وحل الطريق . ومن خلال ثقب الباب صاح رفاقى قائلين . " ساعة فقط ، سقف نأوى تحته ! " فكان الرد : " لا ! " فعادوا يقولون : " على الأقل كوبا من الماء وقليلا من الخل ! " فكان الرد أيضا : " لا ! " .. فاستأنفنا هربنا ... آلا لعنة الله على الإنسان !

(صوفى ، واقفة بالقرب من فاليه ، تجمدها شفقة أليمة ، تنصت له . فاليه، الذى ألقى هذا السرد ، بصوت منقبض تقطعه انفعالات حادة مكتومة ، ورأسه ثقيل ، يثبت نظرة كئيبة نحو الأرضية عند قدميه ، يلتفت بشدة ناحية صوفى، ويسألها بصوت مبحوح مشوب بالعاطفة :)

وأنت ، ألا تطردينني ؟

صـــــوفى : (مائلة عليه ، فى حنان وتقدم له الفنجان) حبيبى المسكين ، خذ ! لقد أضناك التعب !

فـــالليـــه : (دون أن يتناول الفنجان ، باللهجة اللاذعة نفسها) إننى أجلب الموت .

اطردونى إذن !

صـــــوفى : (ترفع الفنجان إلى شفتيه بينما هو يشرب) اشرب !

(يشرب بنهم ، ويريد أن يتكلم بعد ذلك)

لا تتكلم ! ... كل ! أولا ، استرح .

(لحظات صمت ، فى أثنائها تنصرف صوفى إلى خدمته ، تراه ياكل ، تسلم تسقيق . فاللیه يتناول يدها ، يقبلها طويلا . لا تحاول هى أن تسحبها . تبتسم فى حزن وفى حنان)

صـــــوفى : (**بعد لحظة ، تضع يدها فوق رأس فاللیه**) كيف جئت ؟ كيف استطعت أن تصل إلى هنا ؟

فـــاللیـــه : اجلسى امامى ، إذا أردت منى أن اقوى على الإجابة ! دعينى أراك ! .. قريبا هنا ، اجلسى ! .

(**يجلسها أمامه ، ويتناول يديها فى أثناء إلقائه**) :

أوه أيتها الآلهة ! إنها هى ! ثم بعد تلك الصورة التى يستحيل إدراكها ، والتى تتراقص امام خطوتى منذ شهور عديده ..إنها هى وإننى أمسك بها ، اننى اشعر براحة يديها فى راحة يدى ، ولمست اصابعها وحرارة جسدها تدوب فى حرارة جسدى ، خلا ، لا تنزعيهما منى ! لا تدعينى أسقط من جديد فى الهوة التى اخرج منها ! احتفظى بى بين يديك ، هما اللتان أنقذتنى

صـــــوفى : ليت أن الله يهبهما هذه القدرة ! .. حبيبى ، قص على لنستفد من اللحظات.

كيف نجوت ؟

فـــاللیـــه : حينما منع عنا جبن الأصدقاء الرهيب ماء الماء الذى لا تمنعه كلبا جريحا يتضرع إليك ، أعادت شدة اليأس إلى أرواحنا الحياة من جديد ، أعاد إلى الغيط

شعورى وقوتى . فنهضت ، صائحا : " فلنفر ، فلنفر من الناس ، فلنفر إلى المقابر ! ولكن هل نظل نخفى أنفسنا عن أعين هذا الجنس القذر ! إلى الأمام ! فلنسر فوق أجسادهم ، أو فلنمت ! لا حل وسطًا ! " وعدنا إلى عرض الطريق . وهناك ، على الأضواء الخافتة للنهار الوليد وتحت المطر ، قبلّت أصدقائى ، وقاسمتهم شيئا من طعامى ، وتجردت من صرة الثياب التى أحملها ، من كل ما يمكن أن يعوقنى فى سيرى : لأننى كنت قد عزمت على العودة إلى باريس . ظننى أصدقائى مجنونا ، ولكن ما من شىء كان يستطيع أن يزعزع تصميمى ، ولم يحاولوا على الإطلاق . لأننا ، عندما نفقد كل شىء ، فماذا نتدبر ؟ لم يكن الأمر يتعلق بحياتى . كان المهم أن أراك مرة أخرى .

صـــــوفى : (**مأخوذة**) أنا !

فـــالليـــه : أنت . كل ما أحب . أنت ... وأنت تعلمين ذلك تماما ! لا داعى أن نمثل مهزلة المجتمع ! فلم يعد هناك مجتمع . لم يعد هناك شىء . سواك . أنت وأنا ... فى عرض ذلك الطريق الأصفر ، الموحل ، الذى كان يمتد مستقيما يتصاعد منه الضباب ، صورة تلك المرأة – أنت – برزت مثل البرق . وفجأة ، توهجت أنا مثل عود من الهشيم . واختفى كل ما عداك . فكرة واحدة استبدت بى وهى أن أراك مرة أخرى قبل العدم الأبدى ! ... كانت هذه الفكرة

بالنسبة لى جرعة من نبيذ يكوى : أسكرتنى وأصبحت مخدرا ، مبللا بالمطر ومرتعدا من أثر الحمى ، متورد الساقين ، وبعد أن كنت قبل لحظة لا أكاد أستطيع أن أضع باطن قدمى على الأرض ، وجدتنى أنهض من فورى ، ووجدتنى مدفوعا إلى الإمام . وعلى الرغم من ثقل جسدى ، أخذته على كتفى لكى احمله لك . كنت أقول فى نفسى : " إذا سقطت ، فلتعلم على الأقل ، أنه عند سقوطى ، كان وجهى متجها نحوها ! " كنت على مقربة من ريبيراك " . أحمل جواز سفر مزور تنقصه تأشيرة الدخول ، ومررت فى طريقى إلى هنا، على أكثر من عشرين مركز من مراكز المقاطعات . ولحسن الحظ فإن الفلاحين لا يعرفون القراءة . كنت أقوم بنفسى بعمل التأشيرة والتوقيعات . كان يجب على أن أتخذ التدابير لكى لا أرقد إلا فى القرى وألاّ أجتاز المدن إلا فى غفلة من الحراس المرابطين عند المداخل . أما كيف مررت ، فلم أعد أستطيع لذلك تفسيرا . فلو كنت رابط الجأش ، لما استطعت أن أفعل ذلك . لكن العهد كان يدفعنى . كل خطوة على الطريق ، كل حاجز أجتازه ، كل خطر أتغلب عليه كان يقربنى منها ، - منها - منك ! ... كان الألم قد عاودنى من جديد . كنت أشعر بآلام حادة . ومن أثر الجهد الذى كان السير يكلفنى إياه ، كنت غارقا فى العرق . وحينما كانوا يوقفوننى ليطلبوا منى أوراقى ،

كنت أعرى ساقى المتورمة كأننى من جرحى حرب " الفيندية " كنت فى كل مدينة أعلم بتعذيب أحد رفاقى أو بموته . وفى الليل . كنت أنام ، مرتديا ثيابى ، ومسدسان فى جيبى ، وحبات من الأفيون مخبأة فوق جلدى فى قفاز مهلهل . كنت قد صممت ألا ينالونى حيا ! .. كنت أصحو فى الصباح، أكثر إنهاكا من اليوم السابق . كنت أزيد من سرعتى دائما ، كمثل المطارد الذى يسمع من خلفه ، فى الليل ، وقع الخطوات ترن فوق الأرض التى يكسوها الجليد . كانت أنفاس الموت فى إثرى . كنت أشعر به . كان يتعقّبنى ... ستقولين لى إنه كان يجب أن أفكر أننى أقود إليك هذا الموت ؟ ... لقد فكرت فى ذلك ... إن العاشق الشهم ، بدل أن يعرض للخطر تلك التى يحبها ، أحرى به أن يعدل عن رؤيتها . أما أنا ، فلا ! إن حبى أقوى من الاهتمام بحياتك . أن أفقدك ، أن أفقد نفسى ، ليكن ! ... ولكن ليس قبل أن أراك مرة أخرى . أن أراك كما أراك الآن . أن أقول لك إننى أحبك ...

(يتناول يديها ، يتحدث إليها ونفساهما متلاصقان)

صـــــوفى : **(دون حركة لتخلص نفسها ، كلاهما ثمل)** وبعد ؟

(يصمت كما لو كان لا يدرى شيئا)

(تستطرد)

وبعد ذلك ، ماذا سيحدث لك ؟

فـــالليـــه : لم أنظر أبعد من ذلك .

(يترك كل منهما يدى صاحبه ويصمتان ، بهما غصة من أثر العاصفة الداخلية ... صوفى تبتعد فجأة ، تنهض ، تستند على ظهر المعزف ، تنتظر ريثما تهدأ دقات قلبها ، فى مواجهتها ، فاليه ، جالسا ، مائلا إلى الأمام يرمق الأرض بنظرة قاسية ينوب فيها العنف ، لم يتحرك)

صـــــوفى : **(تملك زمام نفسها وتعود إلى فاليه :)** حبيبى ، حبيبى الغالى .. إننى أشكرك

فـــالليـــه : **(رافعا رأسه فى غضب)** ليس شكرك الذى أريد

صـــــوفى : **(بعد وقفة قصيرة)** إننى أرتعد إذ أفكر أنك موجود فى هذه المدينة ، فى هذا المنزل ، حيث يمر أناس كثيرون يمكن أن يتعرفوك

فـــالليـــه : الآن ، ماذا يهمنى ؟

صـــــوفى : ولكن يهمنى أنا ! لقد جئت إلى هنا تضع نفسك تحت حمايتى ، ويجب علىّ ، بل أريد أن أنقذك .

فـــالليـــه : ليس هناك من خلاص ، لم يعد على الأرض من ملجأ للإنسان الذى أراد أن يخلص الناس

صـــــوفى : يجب أن تتبع الحدود ، يجب أن تدخر نفسك لأوقات أفضل ، سوف يحتاجون إليك ، قضيتك ، وطنك

فـــالليـــه : أما أنا فلم تعد بى حاجة إليهم ، ليست بى حاجة إلا إليك .

صـــــوفى : فاليه ، أتوسل إليك ! لا تضح بحياتك ! فلتبحث عن مكان تختبئ فيه ، وطريقة لهربك .

فـــالليـــه : الهرب ! هل تتصورين أننى سأعود إلى الهرب مرة أخرى ؟ هل تعتقدين أن فى الإمكان تكرار المحنة التى مررت بها ؟ تلك الشهور الخمسة من الاحتضار ! إن العقل والقوى البشرية لا تكفى لذلك . إننا لا نستطيع ذلك بغير عهد كذلك الذى كان ينير لى وأنا فى طريقى إليك . فما الذى يمكن أن يشد من عزمى وأنا أبتعد عنك ؟

صـــــوفى : (**بعاطفة**) أنا !

فـــالليـــه : أنت .

صـــــوفى : أنا ! ... يا حبيبى !

فـــالليـــه : (**ناهضا**) حبيبك ؟

صـــــوفى : لن أستطيع الحياة دونك !

فـــالليـــه : تحبيننى إذن ! أنت تحبيننى !

صـــــوفى : أنت تعلم ذلك ، فلماذا أرغمتنى على أن أقوله لك ؟

: لقد قلته ! أعيديه !

صـــــوفى : لا يجب ذلك .

فـــالليـــه : بل يجب ذلك . أعيدى ما قلته .

صـــــوفى : أحبك !

(**يتعانقان**)

فـــالليـــه : شفتاك ! آه ! أخيرا أرتوى من نبعهما ! ... ابقى ! لا تبتعدى ! لا تنفرى منى ! اغفرى لبؤسى ، لثيابى الرثة ، ويدىَّ ، وقدمىَّ الموحلتين ، وجسدى الذى يفوح عرقا وغبارا . إننى أشعر بالخجل ! ...

صـــــوفى : إننى أحبك ! أحب بؤسك ، أحب حتى غبار يديك ووحل قدميك !

(تنحنى لتقبل يديه وثيابه)

فـــالليـــه : (يجتجزها ، يرفع رأسها بيديه ، يغرق عينيه فى عينى صوفى ، التى تستسلم، متعلقة بنظرته . بعد صمت عاطفى :)

آه ! ما أجمل الحياة ! ... سأعيش الآن . أريد ذلك . لن ينالونى ! إذا كنت قد استطعت ، وأنا وحيد ، أن أخترق عالما من الأعداء . فما الذى لا أقدم عليه الآن وقد حصلت عليك ؟ ...

اسمعى ما سنفعله ! ... من السهل عليك أن تحصلى لى على جواز سفر مزيف ورداء للتنكر ، سترة يعقوبية . ثم آخذ العربة العامة التى توصل من باريس إلى " دول " ، ومن هناك ، أسير على قدمى ، فأنا أعرف الطرق التى توصل إلى الحدود عبر الهضاب المرتفعة . قبل اجتيازها ، سأعثر لبضعة أيام على مأوى فى أحد أكواخ الحطابين . وبعد أسبوع ، تهربين من باريس ، وتأتين لتلحقى بى فى المأوى الذى سأحدده لك . خمس أو ست فراسخ على الأقدام . الطرق يغطيها الجليد . لكنك لا تخشين السير . سنتسلق سويا منحدرات جبال " جورا " ومن فوق القمة سنرى الأرض الحرة ، سويسرا . ساعات قليلة بعد ذلك ونكون قد نجونا .

صـــــوفـى : (مأخوذة بسيل هذه الإرادة ، ولكن تحاول أن تتمالك نفسها)
نحن ؟ أنا ؟ ... أنا ، أتبعك ؟

فـــالليـــه : مادمت لى !

صـــــوفـى : (فى أنين) لا أستطيع ! لا أستطيع !

فـــالليـــه : إذا كنت تريدين ، فأنت تستطيعين .

صـــــوفـى : لا أستطيع !

فـــالليـــه : من يمنعك ؟

صـــــوفـى : واجبى .

فـــالليـــه : (بمرارة) الواجب ! فى هذا العالم المشئوم ، هذه الكلمة لا تستخدم إلا فى القتل . إنما باسمها راح المنافق الكبير ، حقير " آراس " ، يذبح أنداده ، وراح جبن الأصدقاء يسلم الأصدقاء للجلاد . الواجب ! ما أسوأ ما نستعمل هذه الكلمة الكاذبة ! ... انظرى فى وجهى ! إن الحقيقة الوحيدة هنا فى عيوننا . أنت وأنا .

صـــــوفـى : إننى أرى أيضا زوجى . إنه مسن ، ويحبنى ، ويثق بى . إذا تركته ، أكون مذنبة .

فـــالليـــه : مذنبة ، لقد كنت كذلك ، إذ تزوجته . إنها لجريمة أن تربط الأجساد الشابة بالهرمة . لقد أعطيته اكثر من اللازم . إننى أحقد على أنانيته التى قبلت ذلك. هيا ، لا ترثى له ! إنه يستطيع أن يحيا دونك . أن لديه علمه ، ومجده ، وغروره وصداقة الطغاة . ماذا أنت فى حياته أكثر من ثمرة ، لا يستطيع حتى أن يقطفها ؟

صـــــوفى : لقد وهبت نفسى له ، وهبتها ، بإرادتى . هل يوسعنى الآن أن أسترد نفسى ،دون أن أحتقر نفسى

فـــالليـــه : احتقرى نفسك ! ففى مثل هذه الساعة ماذا يهم الاحتقار ؟ إن كل ما حولنا يموت ، كل شىء حطام . كل الروابط والقوانين التى كانت تقيم مجتمع الناس، احترام الشقاء ، وحب الخير وطيبة القلب ، كل شىء . وسط الخرائب ، الحب وحده لا يزال يبرق . وكل ما عداه ليل حالك .

صـــــوفى : **(يداها فوق صدرها ، بصوت خفيض ، تحرقها نشوة داخلية)**

يا أيها النور !

فـــالليـــه : **(يطوقها بذراعيه)** هلى ستتبعيننى ؟

(صوفى دون أن تنظر إلى فاليه ، تظل فى وضع النشوة ، دون أن تجيب)

فـــالليـــه : **(آمرا)** اجيبى ! ستتبعيننى

(صوفى تدير ببطء نحو فاليه وجهها الذى يضيئه الحب . يداها المعقودتان تحف أطراف أصابعها شفتاها الفاغرتان ، اللتان تهمان بالكلام . فجأة تخلص نفسها ، وتنصت ، وتقول على الفور :)

صـــــوفى : شخص قادم بصعد السلم

(فى عجل ، تدفع فاليه داخل الحجرة التى يفتح بابها إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد الثالث

(يدخل چيروم دى كورفوازييه من باب السلم ، إلى اليمين. دون أن يرى صوفى ، التى لا تزال عند عتبة باب الحجرة التى دخل فيها فالليه ، يتوجه بخطوات مترنحة ومتعجلة ، ناحية المكتب إلى اليسار . إنه دون قبعة . شعره الرمادى المتطاير غير منظم ، رباط عنقه نو العقدة الكبيرة معقود بطريقة سيئة ، هيئته ، حركاته ، تعبيره ، تدل على ارتباكه . تنفسه صعب ومختنق . يقول كلاما بلا بقية ، يصدر أنينا . يرتمى فوق أحد الكراسى أمام المكتب يتكئ بمرفقيه وسط الأوراق . يخفى وجهه بيديه)

صـــــوفى : (مندهشة من مظهره وهيئته) چيروم !

(لا يتحرك ، ويواصل أنينه بصوت خفيض)

صـــــوفى : (قلقة ، تذهب نحوه) صديقى ...

(لا يجيب)

(تضع يدها فوق كتفه ، تسأل باهتمام زائد) ماذا بك ؟

(يرفع رأسه نحوها ، وهو يتنفس بشدة ، ينظر إليها وينهار من جديد)

صـــــوفى : (مائلة ، ترفع جبينه بيديها وتقول بعاطفة يشوبها القلق :)
هل تتـألم ؟ ماذا حدث لك ؟

(چيروم دى كورفوازييه يبذل مجهودا لكى يبتسم لزوجته ويستعيد هدوءه ، يفتح فه ليتكلم . لا يستطيع . يقف نصف وقفة ويحاول أن يبلغ بيده شيئا يوجد فوق المنضدة الصغيرة القريبة التى توجد فوقها فناجين القهوة)

صـــــوفى : ماذا تريد أن أعطيك !

(چيروم يشير إلى زجاجة (قنينة)

صـــــوفى : (تعطيه إياها) هذه الخمر ؟ إنك لا تشرب على الإطلاق !

(چيروم يتناول القنينة ، يصب لنفسه منها كأسا كاملة ، يشربها جرعة واحدة)

چيـــــروم : يا إلهى إننى أتردى ، فى هذه الإنسانية ...

صـــــوفى : أية صدمة استطاعت أن تفل من عزمك ؟ ... يا صديقى ، من أين أنت قادم ؟

چيـــــروم : من لجنة الميثاق .

صـــــوفى : هل انتهت الجلسة ؟

چيـــــروم : كلا . لكننى لم أستطع البقاء حتى النهاية .

صـــــوفى : ماذا حدث ؟ أى عنف جديد . هل هناك ما يمكن أن يفاجئك ؟ إنك تعرف طباع البشر .

چيـــــروم : إنهم لم يعودوا بشرا . إنهم قطيع من البهائم ، ذليلة متوحشة . كل غرائز الخسة والوحشية عارية تماما .

لحم مذبحة . كلاب جبَّانة تزحف وتتشمم رائحة الدماء . وسط الحظيرة ، ذئاب وضباع ، تحوم . لقد خلت الحجرة الواسعة تماما . أكثر من مائتين هربوا ، ماتوا ، اختفوا . حزب اليمين أصبح خاويا . إن الذين بقوا أحياء ممن كانوا يشغلونه هربوا من أماكنهم ، وراحوا يتسلقون وهم منبطحون على وجوههم حتى قمة الجبل . حتى أكثرهم حذرا ، كانوا لا يكفون عن تغيير أماكنهم فما من مكان صار آمنا . لأننا لا نعلم على الإطلاق أين ستتجه الضربة ، إلى أعلى أم إلى أسفل ؟ إنهم يحاولون أن يظهروا وكأنهم لا شيء ، وأن يتواروا وراء ستائر النسيان . إن عيونهم التى تتذبذب ، راحت ترصد من تحتهم ، وعن شمالهم ، وعن يمينهم ، انتفاضات القطيع ورمشات الذئاب - وبخاصة جبهة روبيسبير الغامضة وعيناه الصفراوان تحت منظاره القديم ، وجبهة " بيو " المنخفضة وعيناه اللتان يخطهما الاحمرار ، وذلك الجمود فى عينى سان-جوست الزرقاوين فى محجريه ، محجرى الصقر ، سان-جوست ... إنه فوق المنصة . يتأهب للحديث . سكون . ها هو ذا برقبته المشدودة يجيل نظرته الباردة تحلق فوق هذه الظهور التى تنحنى وتحاول أن تتجنبها . إنه يحصيهم : على أيهم يا ترى سينقض ؟ ليس هناك ما يستدعى العجلة . فلديه الوقت . لن يجرؤ أحد على التحرك ... منذ ستة

شهور تزمجر فى هذه الحظيرة الأهواء المتناقضة كما تزمجر الأمواج : الجيروندیون والجبلیون فى فريقين متأهبين ، يتناوآن باللفظ والحركة ، والسلاح فى أيديهم ، وفى هذه الملحمة التى يتجلى فيها رعد المنصات ألفان من الرءوس تزمجر . اليوم هو القبر . عندما يتحدث واحد من الجزارين ، فكأنما نسمع الذئب يحوم فوق الجثث . إن كل هذه الأجساد الثابتة ترتعد من الانتظار المهووس . فما إن ندخل حظيرة الماشية ، لا يدرى أحد ماذا سيفعل ، ولا ماذا سيفعل به . لا أحد يدرى إذا كانت حياته ستطلب ، ولا حياة من سيتحتم عليه أن يطلب . ما إن نجتاز العتبة ، (**ولا بد من اجتيازها لأننا لا يمكن أن نهرب ، دون أن ندل على أنفسنا**) حتى نتحول إلى أشخاص آخرين . فالزميل ، الصديق ، الذى كان قبل لحظة يشد على يدك ، يصبح غريبا عنك ... ماذا يظن بى ؟ وأنا ، ماذا أظن به ؟ ... إن كل فرد يصبح لغزا بالنسبة للآخر ... ربما بعد لحظة ، أراه ينهض ، وعيناه تتهددان، وفمه يرغى ويزبد ، فيهاجمنى عاويا ضدى ، مع سرب الكلاب ، ... أو ربما أسبقه أنا إلى ذلك ... لأنه تحل لحظة ، أعرف فيها أن زميلى سيطلب رأسى، إذا لم أبادر بطلب رأسه ، قبل ذلك ...

(قام چيروم بهذا السرد ، ويداه ترتعدان ، فى هياج مهووس . فى هذه اللحظة يتوقف ويأتى حركة ليتناول

من جديد قنينة الخمر . لكن صوفى ، فى عزم وحزم ، تبعد القنينة عن يد زوجها وتجلس بالقرب منه ، وتتحسس ذراعه فى حنان ، وتقول :)

صـــــوفى : لا تنفعل ، هدئ من روعك ! ... أخبرنى بما حدث . إننى أحاول أن أفهم ...
تقول إن سان جوست قد تكلم ؟ هل هناك أحكام جديدة بالنفى ؟ وهل فيها ما يمسك ؟

چيـــــروم : **(يقول نعم برأسه)** أحكام جديدة ، نعم .

صـــــوفى : ولكن ضد من ؟ لقد ضربوا كل أعدائهم . أعداء اليسار ، وأعداء اليمين . إن چيروند التعيسة تختم نهايتها . ومجلس العموم قد تحطم . ولم تمر ثمانية أيام منذ سقطت رءوس هيبير و شوميت و كلو . ماذا بقى لهم لكى يقضوا عليه ؟

چيـــــروم : هم . إنهم يفترسون بعضهم بعضا . فبعد أن صنعوا الفراغ حول الجمهورية ، يقتلون الجمهورية ... هذا الصباح ، فى السادسة ، قبضوا على ...

صـــــوفى : من ؟

چيـــــروم : دانتون .

صـــــوفى : دانتون ؟

چيـــــروم : لم نكن صديقين . لم أكن أحب هذا الرجل . فإن ذلك العنف الذى يرغى ويزبد وذلك السيل المحمل بالأوحال ، وذلك الشيطان المجنون ، المريد ، وتلك الغرائز الوضيعة ،

وذلك الدهاء ، كل ذلك كان يوحى إلى بالنفور والاشمئزاز منه . إن فحيحه كان يخفى وراءه فى أغلب الأحيان الاضطراب والشك . ولكن من ذا يستطيع أن ينكر الخدمات الهائلة التى أسداها بجرأته العظيمة للجمهورية ؟ ... من منا لم ير وسط الأيام المظلمة ذلك الوجه المخيف يشرئب وسط السحاب يجلله البرق وكأنه روح الثورة نفسها ؟... عندما بلغت المجلس إشاعة الأمر بالقبض عليه . تجمد كل الحاضرين من الذهول . لم يبق واحد لم يشعر بأن هذا الرجل كان مقدسا ، وأنه يخص تراث الأمة الذى لا يمكن انتهاكه. وما أقل الذين لم يشعروا بفضله ! وكم منهم – فى الأيام العصيبة – احتمى به ! قطيع كامل من العملاء كانوا يقتاتون على فتاته . لكن هذه الفئة وقد أصابها الذعر ، راحت تهمس ، ثم تلوذ بالصمت ، وقد لذت بالصمت مثلهم ...

وأخيرا ، فإن أحد أفراد حزبه ، وكان معروفا من الجميع بأنه ممن يدورون فى فلك النجم الذى هوى ، وقد شعر بأنه يتردى فى الهاوية ، حاول بطريقة لا إرادية أن يقوم بحركة من أجل الحفاظ عليه . هذا الشخص هو لوجندر ، وهو رجل سوقى ، كان ، فى ظل " دانتون " ، يتألق معه ... لقد منحه الخوف قوة، فصاح عاليا ، وطالب مزمجرا ، لكى يتشجع ، بحرية دانتون . وما إن اطمأن أغلب الحاضرين لهذه الصرخة المنبثقة من الصمت ، حتى

بدءوا يساندونه بطنينهم . وذهبت الجرأة ببعضهم فجعلوا يصفقون . بضع دقائق أخرى ، وكان من الجائز أن تجد اللجنة الشجاعة الكافية لكى لا تسلم باغتيال نفسها ... وفجأة دخل " روبسبيير " . فتجمد هدير القلوب فى الحال . وعلى طول طريقه راحت الفكرة تتعجل الارتداد والدخول تحت الوجوه . ومن جديد أحدق الصمت بالرجل الذى كان يتحدث . ورأى " لوجوندر " " روبسبير " .

وساعده اندفاعه ، لحظة أخرى ، على إطلاق الصيحات التى راحت تقع فى الفراغ . ثم ، فقد اتزانه ، وتوقف ، واستأنف ، وتلعثم ، ووسط إحدى الجمل ضرب بقبضته فوق المنصة ، وتوقف وغاص . وفى بطء راح " روبسبيير" يصعد من السلم الآخر . ودون أن يهتم بالرد على عواء البهيمة المذعورة التى كانت فى ذلك الوقت تسعى إلى الدخول فى ثنايا النسيان ، راح يقرأ بصوته الخالى من النبرات ، أمر القبض الذى أصدرته فى الليلة السابقة اللجان الثلاث. وجعل يتحدث بألفاظ جوفاء عن مكيدة كبرى . وهنأ "مجلس الشيوخ الذى استطاع أن ينتزع من داخله جميع الأعضاء غير الأكفاء الذين خانوا القضية ..." وعلى حين بغتة ، أصبح صوته مهددا ، والتفت ناحية " لوجوندر " الذى كان منزويا وراء شخص آخر ، وراح ، وهو يتظاهر بأنه لا يراه ، يهاجم المتآمرين المختفين الذين يدفعون عن الخونة سيف

القانون . فطلب "لوجوندر" ، وهو يتلعثم ، أن يرد . ولكن الآخر ، دون أن يتأثر ، تظاهر بأنه لم يسمعه وانتهى من عرض جمله المطننة الموزونة التى تتردد فيها كلمة الموت ، ثم انصرف تاركا البلطة المطوقة بالغار معلقة على رءوس أعضاء المجلس ...

كان الصمت يزداد عمقا أشبه بالهوة السحيقة . ومن الأعماق ، ارتفع مرة أخرى عواء " لوجوندر " نابحا على الموت . ولكن هذه المرة ، لم يعد لدى الكلب سوى فكرة واحدة . أن ينبطح ويجثو تحت السوط وينال العفو بلعق القدم التى كانت تركله . اعتذر والغصة تملأ صدره متعللا بأنه لم يكن يدرى ، ولم يكن يعرف ... ، دافعا باستعداده لأن يسلم صديقه أو شقيقه إذا كانا جانيين ، متنكرا للرجل المغلوب مستشهدا بجبن المجلس على نكرانه الخسيس ... حدث ذلك ودون أن يجرؤ واحد فقط على أن يبسط له يده أو تنفجر أسارير الرجل الغامض بتهديده الصامت ، وهو يتأمل الشقى الذى كان يغوص ويغرق ...

واختفى الرجل . فقد غطاه سماط من الازدراء والخوف . وعندئذ ، راح واحد من حزب المونتانى ، باسم المجلس ، يهنئ اللجان التى أحبطت بيقظها المؤامرات الجديدة . ومن جهات مختلفة فى القاعة ، انضمت إليه بعض الأصوات تؤيده . لكن "روبسبيير" ، الذى يعلم تقلب

المجالس ، لم يكتف بهذه الأصوات التى لم تصدر عن العقول . بل أراد أن تصدر اللجنة حكمها عن طريق الاقتراع بالاسم ، وأن تقر محاكمة "دانتون" – أى القضاء عليه ، لأن الحكم كان قد صدر مقدما .

صـــــوفى : واقترعت أنت !

چيـــــروم : راحوا جميعا يقترعون . كلهم كانوا يسرعون إلى المنصة ، تحت أعين أصحاب الأمر . بعضهم بظهور مستديرة ، وبصوت غير مطمئن . أما الأغلبية فقد تظاهرت بالصلابة الرومانية ، وجعل صوتها يجلجل فى القاعة ، بينما الرعب يصيح فى أحشائهم . واقترع "لوجوندر" . باع يده . كنا خمسة أو ستة ننظر فى ألم . كان كل منا ينتظر دوره فى الاقتراع . وعندما كان يأتى دور أحدنا ، كان ينهض ويذهب ، يذهب ليلقى بصوته ، يلقى بحجره على المهزوم .

صـــــوفى : وأنت ألقيته !

چيـــــروم : عندما حان دورى ، نهضت وانصرفت .

صـــــوفى : لم تقترع ! ...

چيـــــروم : كنت قريبا من باب الخروج. نادوا باسمى . وكرر شخص خلفى قائلا ، وهو يمس كتفى : " كورفوازييه ! " ... وكان هناك رجل **(من كان يا ترى ؟)** يقف أمام الباب . فنحَّيته عن العتبة ، وخرجت من القاعة . وعندما بلغت الشارع ، أصابنى دوار ، وكدت أسقط . وأقبل علىَّ عابر رآنى

أترنح ، فأخذنى من ذراعى وصحبنى إلى مقهى ، وسقانى مشروبا منعشا . استجمعت قواى كى لا يتفرج على الناس ، وعدت إلى المنزل ... كنت أتمنى أن أرقد فوق الأرض، فى التراب وألا أنهض بعد ذلك ... تقززا ، تقززا من الناس ومن نفسى . إنسانية ، حق ، حرية ... يا لها من سخرية ! سخرية عهدى وإيمانى . لقد ولد الإنسان لكى يستعبد . لقد ولد الإنسان لكى يخون . إن كل ما نفعله لتحريره ، كل ما نحاول من أجل إنهاضه ، لا يجدى إلا فى إظهار حيوانيته . ماذا صنعت ؟ لقد فقدت حياتى ! ...

(يسقط من جديد فوق المنضدة ، رأسه بين يديه)

صـــــوفى : **(التى أنصتت إليه بانقباض وشفقة متزايدة)** الرجل المسكين ! الرجل المسكين !

(تميل عليه تأخذ بيده) چيروم ، أى صديقى ! ... زوجى العزيز ! ... لا تستسلم ! إننى أفهمك ، وأرثى لك . إن ما قاسيته أنت أقاسيه معك ... ولكننى لا أريد لد أن تفقد إيمانك ... إيماننا ...

چيـــــروم : **(يرفع رأسه ، بلهجة شك :)** إيماننا ؟

صـــــوفى : إنه إيمانى أنا أيضا . – لا شك أن الناس منحطون ، متوحشون ، منافقون ... وا أسفاه ! إننا ندرك تماما كم نحمل فى ذواتنا من وحوش ، من أفكار وضيعة لا نجرؤ على ذكرها ، وتحط كرامتنا ، ولكن لأننا كنا نعلم

ذلك ، قمنا بهذه الثورة ، من أجل تحرير الناس ومن أجل رفعتهم . إننا لم نحاول أن نخفف عن أنفسنا لا المصاعب ولا الأخطار . ربما كل خطئنا أننا اعتقدنا قبل الآوان أننا كسبنا المعركة . ولكن فى تلك الأيام الأولى من التحرير ، كان جميلا أن نستسلم لمعانقة كل من فى فرنسا . هل لنا أن نأسف على ذلك ؟ كان لا يمكن أن يستمر ذلك . ولكن من ذا الذى لم يحسدنا ، من ذا الذى لن يحسدنا لأننا عرفنا هذه السعادة ، مرة فى حياتنا ؟ لقد قطفنا زهرتها . والزهرة ذوت. إن البهجة التى تمتعنا بها لحظة ، دفعنا ثمنها بعد ذلك . أمر شاق . ولكن كان لابد من ذلك . أنت ، يا من تعلمت فى خلال ممارستك للعلم ، الاعتراف بقوانين الطبيعة الثابتة التى لا تتحول ، أهذا سبب يجعلك تشك أو تتخلى عن موقفك ؟ لقد أتيحت لك القوة لكى تصعد عاليا لتحتضن فى نظرة واسعة الأرض وراء الجبال والنهر الذى يتعرج والذى يمثل تقدم الفكر الإنسانى . ولم تتصور يوما من الأيام ، أنه لكى يواصل مجراه ، تكفى لذلك بضع سنوات . بل كنت تتوقع قرونا مع أكثر من توقف وعودة إلى الوراء . كلا ، إننا لن نرى ، بأعيننا ، أرض الميعاد . ولكن ، أليس كثيرا أن نعرف مكانها وأن ندل على طريقها ؟ سوف يأتى آخرون ، أكثر شبابا ، فيواصلون السباق المقطوع . أما نحن ، المقيدين بالعصر الحاضر ، فلنجد

فيهم عزاءنا . يا صديقى ، فى مقابل المشهد الرهيب الذى يخنقك ، تبقى لك فى ذاتك ملاجئ كثيرة تستطيع أن تجد فيها عزاءك ! مجهودك الشخصى ، وأبحاثك واكتشافاتك ، مملكة العلم هذه ، التى هى بمنأى عن نزقات الناس وشرورهم ، والتى ستحررهم ، شاءوا ذلك أو لم يشاءوا ...

چيـــــروم : (انتصب واقفا شيئا فشيئا ، يداه فى يدى زوجته ، لا يحول عنها عينيه)

آه ! شىء مـريح ! ... من فـمك ، هذه الأفكار ... هذا الإيمان ، إيمانى ! إيمانى المفقود ، الذى يعود إلى عن طريقك ... زوجتى ! ... إذن فأنت تحبيننى ؟ ... كنت أظن عكس ذلك ! ...

(يقبل يديها)

(صوفى ، مضطربة ، تحول رأسها ، بينما زوجها مائل على يديها)

چيـــــروم : (يرفع عينيه نحوها ، يتوسمها بعرفان ويترقب الإجابة بانكسار :)

صوفى ، هل تشعرين نحوى حقا بشىء من الحب ؟

صـــــوف : (محاولة الهرب) آه ! انتابتنى رعدة قبل برهة ، خلال حديثك ... كنت أخشى ... كنت أخشى ...

چيـــــروم : (بابتسامة حزينة) كنت تخشين جبنى ؟

صـــــوفى : كلا ، لا تقل هذه الكلمة !

چيـــــروم : أولم أظهره بما فيه الكفاية ؟

صـــــوفى : لقد رفضت أن تتردى فى خزى الآخرين .

چيـــــروم : آه ، كـــان ينبـــغى أن أتكلم . لقـــد هربت . إننى رجل ضعيف ، لا يملك سوى شجاعة ضعيفة لا تجدى ...

(فالليه يظهر عند عتبة الحجرة ودون أن يلحظاه ، ينظر إليـهمـا فـى غـيرة وحـقد . عندمـا تتحـول عيـونهمـا آليا ناحيته ، يتراجع إلى داخل الحجرة)

صـــــوفـى : **(فى ود صادق)** إنك لرجل بائس ، ضعيف ، ومن أجل ذلك ...

(تتوقف عن اندفاعها)

چيـــــروم : **(يسحبها من يديها اللتين لم يتركهما)** ومن أجل ذلك ؟ ...

(لا تجيب فيلح)

ومن أجل ذلك ؟... قولى !... تشعرين نحوى بشىء من ... من العطف .

صـــــوفـى : **(محرجة ، تفر ثانية)** وذلك ، يا صديقى ، لأنك ضعيف فإن قيمتك ترتفع إذ تخاطر بحياتك . لأنك خاطرت بها . لا تحقر من شأن نفسك ، بالحديث عن الهرب .

چيـــــروم : هذا صحيح . وإننى أعلم أنهم سيطالبوننى بالحساب . فمنذ شـهرين مضـيا وأنا موضع شك . جميع خطواتى يراقبونها ، وكل أقوالى يسجلونها ، حتى حالات صمتى . إن الوشـاة يرصـدوننى . إن منهم أصـدقـاء لنا . ولقـد استطعت اليوم بالذات **(وكنت أنتظر حتى أتأكد لكى أخبرك بشكوكى فيه)** استطعت أن أحصل على أدلة بأن العجوز دينى بايو ...

صـــــوفى : **(مذعورة)** يا إلهى !

چيـــــروم : كل ما نقوله هنا ، ينقله ...

صـــــوفى : كـلا ، لا أسـتطيع أن أصـدق ذلك ! ذلك الكهل ... ذلك الرجل الرقيق الهياب ... وما الدافع ؟

چيـــــروم : **(وهو يهز كتفيه)** ليشـترى سلامته ... ثم ، فى عصر كعصرنا ، فإن الخسة تنتشر كالبرص ، فنحن نرى من كرام الناس من يشعرون على حين بغتة بحاجتهم إلى الهبوط والتلوث ...

صـــــوفى : **(وهى فريسة الرعب)** چيروم ! لقد كان هنا ! ...

چيـــــروم : من ؟ بايو ؟ اليوم ؟

(تشير نعم برأسها ،لا يسمح لها تاثرها البالغ بالكلام)

چيـــــروم : ماذا تخشين ، يا صوفى ؟ إننى أعرف حذرك ...

صـــــوفى : ... كان هنا ، حينما دخل ...

چيـــــروم : حينما دخل ؟...

صـــــوفى : محكوم عليه ، يبحث عن مأوى ... فالليه ...

چيـــــروم : **(فى صيحة دهشة وفرح)** فالليه ! ... حى ! جاء هنا ! ... صوفى ، هل استقبلته ؟ ألم تغلقى فى وجهه بابنا ؟ أين هو ؟

صـــــوفى : ها هو ذا !

(تشير إلى فالليه ، الذى جاء إلى عتبة الباب حين سماع اسمه . ولكى تخـفى اضطرابهـا ، تخـرج من باب السلم ، تاركـة الرجلين وحدهما ، كما لو كانت تريد أن تراقب المدخل)

المشهد الرابع

چيـــــروم : **(يتقدم ناحية فالليه ، باسطا له ذراعيه)** صديقى !

(فالليه لا يتحرك . بعد توقف قصير ، چيروم يواصل التقدم نحوه)

استطعت أن تهرب ! ... كانوا يقولون ... الحمد لله ! ...

(وصل قرب فالليه ، يريد أن يعانقه ، ولكن فالليه يستدير عائدا إلى حجرة الاستقبال ، يقف على بعد مسافة)

فـــالليـــه : **(بسخرية باردة)** فلندع الله وشئونه ! إنه لا يهتم بشئوننا ! إن الله مع روبسبيير .

چيـــــروم : **(وقد توقف فى اندفاعه العاطفى ، يستطرد بعد صمته)** فالليه ! إننى أراك من جديد ! ... وسط الهموم والأحزان السوداء التى تجتاحنى اليوم ، يلوح لى أن شعاعا من الشمس دخل معك ...

(يتقدم من جديد بضع خطوات ناحية فالليه وفى هذه المرة يمد إليه يده التى لا يتناولها فالليه)

فـــالليـــه : **(باللهجة الساخرة الجامدة نفسها)** لا تقترب ! فقد تحترق !

چيـــــروم : **(مأخوذا ، يتراجع خطوة)** فالليه ! أى صديقى ! ... ماذا بك ؟ ... ألا تريد أن تصافح يدى ؟ ... هل تشك فى أمرى ؟ ... إن منزلى لك . وأنا أشكرك لأنك اخترته مأوى لك . هل تشك فى صداقتى ؟ لقد ظلت وفية لك .

فـــاللیـــه : **(بمرارة)** إننى أعرف هذه الصداقات التى سلمَنا وفاؤها قبل عام إلى القتلة .

چيـــــروم : **(محزونا)** فالليه ، الواقع أننى قمت بالقليل جدا ، من أجل الدفاع عنكم ؛ ولكن **(إننى لا أعتذر ، أدنًى إذا شئت !)** ولكنك لا تعمل حسابا لهذا الجو ، مستشفى المجاذيب ، الذى نعيش فيه سجناء ، واستحالة كلمة عقل فيه . إنه وباء . وإن أسلم العقول لتصاب به شيئا فشيئا . أربع سنوات من التوتر البالغ ، من الخطب الجنونية ، من الكتابات المحمومة ، من الرعب ، من الشكوك ومن الآلام التى تشبه آلام المسيح وخيبة الآمال المريرة ، كل ذلك خلق جوا مشحونا بالسموم . إن التهديد بالموت يفسد كل تفكير . والإنسان لا يستطيع دون خطر أن يظل سنوات فوق حد السيف هذا : " الانتصار أو الموت " . إنه يضرج بالدم ويتمزق غيظا . ومن يحاول إعادته إلى المشاعر الإنسانية ، تمزقه أسنان هذه النمور ... وا أسفاه ، إنهم أصدقاؤك ، يا فالليه ، أعضاء حزبك ، وأنت معهم ، الذين كنتم - بإعلانكم الحرب ضد أوروبا

وإلقاء الدولة فى الصراعات الوطنية – أول من أثار الهياج والثوره والغضب الذى راح يلتهمكم .

فاللية : (**جارحا**) لقد رفضنا التحالف مع الجريمة . أما غيرنا فقد تواطأ معها إبقاءً على حياته .

چيروم : (**مجروحا ، لكن مالكا زمام نفسه**) فوق حياتنا ، توجد منجزات حياتنا : ثورتنا الشابة . وأعداؤها كثيرون ! فعلينا ألا نضيف إليهم أحقادنا ! يجب علينا أن نضحى فى سبيلها بكل عواطفنا .

فاللية : (**بلهجة مهينة**) إن التضحية لا تكلف شيئا أولئك الذين ليست لهم عواطف ، وليس لهم سوى مصالح .

چيروم : (**الذى لا يريد أن يفهم**) إننا لا نتحدث عن هذه الفئة . فلندع النفوس الوضيعة! إن ما بيننا ، أنت وأنا ،لا يمكن أن يكون سوى ما بين الذين يعيشون من أجل الأفكار .

فاللية : هناك من يموتون من أجلها ، وهناك من يعيشون على حسابها .

چيروم : (**يصيح**) فالليه ! ... ماذا تريد أن تقول ؟ ... وأخيرا ، ماذا بك ؟ ... كأنك ناقم علىَّ ؟

فاللية : (**بعد لحظة ، بحقد**) أجل !

چيروم : (**محزونا**) فى هذه الساعة ، التى تتهدد فيها الأخطار حياتك فى كل مكان، فى باريس الحافلة بأعدائك ، ألا يجدر بك أن تقدم العرفان لرجل يحبك ، لا يشاركك أراءك ، ويحترمها ويود أن ينقذك ؟

فـــالليـــه : (باحتداد) لا ، إننى لا أقدم العرفان ! إن حبك كذب ! أنك لا تحب إلا نفسك. وخلاصك أعمالك الحذرة وحيادك . لعنة الله على الطغاة الذين يقتلون فرنسا ! وسحقا للمحايدين ! ...ألا فاعلم أننى أبغض "روبسبيير" ، ذلك الوحش ، ذلك الطاغية المستبد ، جلاد الجمهورية الذى باع نفسه للنمسا . إننى أتمنى أن تجىء "شارلوك كوردى" أخرى تغتاله عندئذ أقبل الخنجر الذى ينزع قلبه من صدره. ولكن حقدى هذا ليس أقل من حقدى على أهل الحذر والحيطة ، الذين يلزمون الصمت . يلعبون بالجريمة والفضيلة فى مثل هذا الصراع الرهيب، لا يكترثون بشىء ولا يهتمون إلا بدورهم الذى يشبه دور رقاص الساعة ، مستعدين دائما لخدمة هذا على حساب ذلك وخيانته فى اليوم التالى ! ...

چيـــــروم : (متمالكا نفسه ، بالغ الهدوء ، مع ارتجاف فى الأعماق) فالليه ، هذا الكلام لا يوجه إلى مثلى .

فـــالليـــه : (ثائرا) بل إليك !

چيـــــروم : (مذعورا ، يظل لحظة دون أن يجيب) ولكن إذا كنت تبغضنى إلى هذا الحد، فلماذا جئت فى منزلى تبحث لك عن مأوى ؟

(فـــالليـــه لا يجـيب ، ولكن نظرته تذهب من فـوق كورفوازييه ناحية باب السلم الذى يفتح من جديد : صوفى تعود ، يتعلق بها بواسطة إشعاع عاطفى . چيروم يلاحظ التغير المفاجئ فى تعبير وجهه . وعندما يلتفت ليبحث عن سببه، يرى زوجته مقبلة نحوه)

المشهد الخامس

صـــــوفى : (فريسة لانفعال حاد ، أغلقت الباب وتسرع ناحية چيروم)
إنهم قادمون !إنهم قادمون ! ... چيروم ! ... لقد ضاع ! ...
(چيروم يلاحظ عينى فاليه ، الذى لا يبدو عليه أى تأثر لكلام صوفى ، والذى لا يخفى ابتهاجه إذ رآها . ثم يلتفت ناحية صوفى ويفحص اضطرابها . ويصرفه ذلك عن الاهتمام بمعنى ما تقول)
صـــــوفى : (تجذب ذراعه) أسرع ! أسرع ! يا چيروم ! ... ألا تسمعنى ؟
چيـــــروم : من القادم ؟ ماذا رأيت ؟
صـــــوفى : الشارع مقلوب . فرق من الرجال المسلحين يذهبون من منزل إلى آخر . وبابنا عليه حرس ... تعال ، انظر !
(تقود چيروم إلى النافذة اليمنى التى تحجبها ستائر سميكة . ترفع جانبا من الستار فيميل چيروم لكى يرى . فاليه يتبعهما ولكنه لا ينظر إلا إلى صوفى)
چيـــــروم : يقومون فى الحى بزيارات للمنازل .
صـــــوفى : هل تعتقد أن هذا الرجل قد أبلغ عنا ؟

چيـــــروم : من ؟ ديني بايو ؟ ... كـلا ... على الأقل ، ليس بعـد . إن الأمـر فى هـذه السـاعـة يتـعلق بإجـراء عـام ، لا يخـصنا نحن فـقط ... انظرى إلى هذه الفـرقـة التى تدخل المنزل المواجه ... هذا بالطبع أمر تفتيش نظامى ، أصدرتـه لجنة مراقبة القسم ... جميع المنـازل تفتش . ولكن قد يحدث ، بعد حوادث اليوم ، أن يفتش منزلنا بنوع خاص .

صـــــوفـى : (**مضطربة**) اهرب ، يا كلود !

چيـــــروم : كلود ؟ ... آه ! أجل ، فالليه ... الهرب مستحيل ... انظرى فى آخـر الشـارع ، إن الحـاجـز مـقـفل ، مـوظف واقف هناك . لا أحد يسـتطيع الخروج قبل أن يتم التفتيش ... إنهم يقومون بالتفتيش صفا صفا . بعد المنزل المواجه ، يأتى دور منزلنا . أمامنا ربع ساعة .

صـــــوفـى : (**تفقد شيئا فشيئا السيطرة على نفسها**) چيروم ، يجب إنقاذه !

چيـــــروم : (**لا يزال هادئا**) عـزيزتى . إن حـيـاتنا جـمـيـعـا مـهـددة أيضا .

صـــــوفـى : (**متحمسة**) ولكن هو ، إذا وجدوه فقد هلك !

چيـــــروم : ليس وضعك أحسن من وضعه ، إذا وجدوه هنا .

صـــــوفـى : (**مدفوعة بعاطفتها**) إننى لا أهتم بحياتى ، بشرط أن أنقذ حياته .

فـــاللـيـــه : (**عيناه مشعتان**) لم أعد أخشى شيئا ، الآن وقد بلغت هدفى .

صـــــوفى : كلا ، الهدف هو أن تعيش . لا أريد أن تموت !

فـــاللـيـــه : نحيا أو نموت معا !

صـــــوفى : **(بعاطفة)** نحيا ! ...

فـــاللـيـــه : **(يفيض سرورا)** سنحيا ! ...

(لقد نسيا كل شيء ، كل ما حولهما ، الخطر و چيروم الذى يتأملهما ، وكلاهما ، يده فى يد الآخر وعيناه فى عينيه)

چيـــــروم : **(بعد صمت ، ببرود بالغ)** إن الدقائق معدودة وإذا أردتما الحياة فلا تفقدا الوقت ، ولو أننى أرى أنكما تستفيدان كثيرا من الوقت .

(عند سماع هذه الكلمات ، تفيق صوفى ، تترك يد فاليه الذى يتراجع من ناحيته وتلتفت ناحية چيروم - لكن دون أن تجرؤ على النظر إليه مواجهة - عيناها مليئتان بالاضطراب)

صوفى ، أنت تعلمين أن فى نهاية هذه الحجرة **(يشير إلى الحجرة اليسرى قرب الدرابزين)** داخل جدار القبو ، فى الخلوة الخشبية التى صنعتها بنفسى لأضع فيها الوثائق التى لا يخلو وقوعها فى جميع الأيدى من خطر . يوجد مكان لإنسان وهو متمدد . أدخلى فيه فاليه ، وأغلقى عليه الجدار بعناية ، والغطاء . إذا اقتصر التفتيش - كما هى العادة - على مجرد زيارة عامة للقسم ، فسيمرون فقط ، وتكون لدينا فرصة للهرب .

صـــــوفى : تعال ! فلنسرع يا فالليه !

چيـــــروم : انتظرا ! ... يجب أن نتوقع كل شيء . إذا كان التفتيش بأمر صادر من لجنة الأمن ، وإذا كان ذلك الرجل - بايو هذا - قد أبلغ عنا ، فلا ركن ، ولا جدار سيترك بلا تفتيش . عندئذ لا شيء يمكن عمله . شيء واحد يبقى أمامنا ... خذا .

(من ثنية في رباط عنقه العريض ، يخرج كيسا صغيرا يفتحه ويقسم ما فيه) هذا السم أكيد المفعول . لقد أتانى من " كابانى " ... هذا نصيبك يا فالليه وهذا نصيبك يا صوفى ... وأنا أحتفظ بنصيبى ... اذهبا !

(صوفى متأثرة ، فالليه مضطرب ، كلاهما نهب لعواطف متناقضة ، ينظران إلى چيروم الذى لا ينظر إليهما ويذهب ناحية النافذة . يخرجان من باب الحجرة ، إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد السادس

(چيروم دى كورفوازييه يلتفت ، ثم ، وعيناه مثبتتان على الباب الذى خرجا منه ، يعود ببطء إلى وسط المسرح)

چيـــــروم : **(بسخرية مريرة)** إنهما عاشقان . إلى أى هياج عنيف دفعت الغيرة وقرب الموت بأعز أصدقائى ! إنه قد لا يتردد فى قتلى لكى يسلبنى زوجتى ... أما هى ،التى كنت قبل برهة وجيزة أفضى إليها بشقائى ، فقد كانت شريكته فى الجرم ، وربما كانت تنذر النذور من أجل موتى ... ولم لا ؟ إننى العقبة التى تقف فى طريق هنائهما ! إيه حسن ، فلتطب نفساهما ! لن أظل طويلا أمثل هذه العقبة ... إننى لا أحب أن أرغم على احتجاز شخص للبقاء معى وهو يتوق إلى التخلص منى . كذلك لم أعد أحب أن أستمر مقيدا إلى هذه البشرية الوضيعة ... الوضيعة ؟ كلا السخيفة . إنها حتى لا تستحق الاحتقار ... كائن واحد كان لا يزال يمنحنى سببا للإيمان بها . ولقد انتزعها منى ... حسن ... إذا كان هذان التعيسان لا يزالان يجدان لذة فى الحياة ، فهنيئا لهما ! أما أنا ، فإننى أهب حياتى ...

(يذهب إلى مكتبه ، ومن مجلد كبير ، يسحب مخطوطات مخبأة تحت الغلاف الجلدى)

فى هذه الأوراق التى تدينهم سيعثر الجلادون على قرار إدانتى جاهزًا .

(يضع المخطوطات ظاهرة فوق المنضدة ، وسط حجرة الاستقبال)

(ثم يعود إلى النافذة المطلة على الشارع وينظر إلى الخارج)

يخرجون من المنزل الآخر ... يعبرون الشارع ... يدخلون ... وأنا مستعد .

المشهد السابع

(تسمع مجموعة من الرجال تصعد السلم فى ثقل . طرقات عنيفة على الباب.

چيروم ، دون عجلة ، يذهب ليفتح . يدخل مندوب وعشرة رجال مسلحين .

ملابس المندوب : " بنطلون واسع من الصوف الأسود ، سترة قصيرة مثله ، صديرية ذات ثلاثة ألوان ، باروكة يعقوبية ذات شعر قصير أسود مرسل ، قبعة حمراء ، سيف ، شاربان ضخمان "

" الرجال ليس عليهم سوى قطع من هذا الزى . كثيرون منهم دون سترة ولا صديرية ، يلبسون الصنادل ، يتسلحون بالحراب)

كـــرابار : لجنة الأمن ! ...

چيـــروم : تفضلوا !... أهذا أنت ، أيها المواطن كرابار ؟

كـــرابار : **(منذ البداية ، يبدى عداءه)** لم تكن تتوقع ذلك ؟

چيـــروم : **(بهدوء وازدراء)** إننى أتوقع كل شىء .

كـــرابار : **(ساخرا ومهددا)** أترى ، كيف نتلاقى ، هيه ؟

چيـــــروم : (**بهدوء وازدراء**) خاصة حينما يكون أحدنا (**ليس أنا !**) يبحث عن الآخر.

كـــــرابار : لم تخطئ أبدا ... ولكننى لم آت لكى أجـفف حلقى فى الكلام .

هل رأسك مثبت جيدا ؟

چيـــــروم : عليك أنت أن تتأكد من ذلك !

كـــــرابار : (**مخاطبا الآخرين**) هيا (**يصفر وكأنه يصفر لكلاب**)

ابحث ! ابحث !

انهب !

چيـــــروم : هذه هى الكلمة . لقد قلتها بالضبط .

كـــــرابار : ... الذى يضحك فى النهاية هو الرابح .

(الرجال يبدءون فى تفتيش الأثاث بغلظة ، ينزعون الأدراج ، يقلبونها رأسا على عقب فوق الأرضية ، ينثرون الأوراق . على الصوت ، صوفى تقبل من الحجرة المجاورة . تقترب من چيروم الذى يقف ثابتا وسط الحجرة ، موليا ظهره للمقتحمين)

چيـــــروم : (**دون أن يتحرك ، ودون أن يفتح فمه تقريبا**) خلاص ؟

صـــــوفى : (**تشير برأسها ، نعم ، دون أن تتكلم . ثم ، بصوت خفيض**)

هل هناك أمل ؟

چيـــــروم : (**بصوت خفيض**) أبدا .

صـــــوفى : (**بصوت خفيض**) من هذا ؟

چيـــــروم : (بصوت خفيض) كرابار . أفّاق أمرت بالقبض عليه ، قبل عامين ، في الحي العربي ، بوصفه بائع فضة .

كـــــرابـار : (مخاطبا أحد الرجال) تيموليون ، نظف المدفأة !

(الرجل يغرس حربته داخل المدفأة ويحركها بقوة)

قليل من القش المبلل ! ... " دوسان " ، أشعل هنا ، فإذا كان الثعلب بالداخل فسنسمع سعاله !

صـــــوفـي : (بصوت خفيض إلى چيروم) هل يعرفون ؟

(چيروم يهز كتفيه)

كـــــرابـار : (مخاطبا رجاله) فتشوا ! فتشوا !

چيـــــروم : (مخاطبا كرابار) ارحم على الأقل هذه التحف الفنية الهشة !

(أحد الرجال بعد أن سبر أغوار الجدران بحربته ، يغرسها في إحدى اللوحات الكبيرة)

(صوفي تطلق صرخة)

كـــــرابـار : (يهرول ناحية الرجل) ها ! ها ! ... اغرسها مرة أخرى ! ...

(الرجل يغرس حربته في اللوحة من جديد)

هل تشعر بشيء ، خلفها ؟ ... أبدا ...

(يلتفت إلى صوفي)

لماذا صرخت ؟

صوفي **(تتأمله بازدراء)**

كـــــرابـار : (هائجا) لا تتفضلين بالرد علي ؟ ... إنها تنظر إليك كالكلب ... أعوذ بالله!

... أيتها المواطنة ، سنرى إذا كنت تخفين شيئا تحت لوحتك ... ليس هذه ... بل جلدك ... سنبحث بداخلك عن البراغيث ...

(چيروم يأتى حركة ليدفع كرابار . كرابار ينحيه . يدفعه)

أما أنت ، أيها العجوز . فالزم مكانك ! ... انتظر حتى يحين دورك . إن لدى أمرا بتفتيش كل شيء ... وإننى أفتش ... ولكننا ندرك واجبنا بالنسبة لعفة الجنس الآخر ... لسنا نحن أيتها المواطنة ، الذين سننقب بين مفاتنك ... "بودان " ! **(يصيح)** ... أين تلك المرأة ؟ ... بودان !

(تظهر عند باب السلم ، بودان ، فتاة مسدلة الشعر، ذات وجه متودج وصدر ضخم)

هل كنت منهمكة فى إغراء شاب من المغرورين ؟ إياك أن أضبطك ! ... تقدمى ! اصطحبى هذه الكتكوتة إلى الحجرة المجاورة وانظرى إذا كان هناك مهاجر تحت قميصها !

(يضحكون . صوفى تأتى حركة تمرد ، ولكنها تلقى نظرة على باب الحجرة التى أغلقتها دون فالليه ، وتذهب إلى الحجرة الأخرى ، قرب الحديقة ، تتبعها بودان)

چيـــــروم : **(يحدث نفسه)** آه ! كالعادة ، سيبحثون فى كل الأماكن التى لا يوجد فيها شيء يمكن العثور عليه ، ولكن يجب إرغامهم على النظر إلى ما تحت أعينهم . **(يقترب من المنضدة التى فى وسط الحجرة ، حيث لا تزال ظاهرة**

للعيان الأوراق التى تركها دون أن يفكر أحد الرجال فى النظر إليها . يتصرف بطريقة تجذب انتباه كرابار فيجذب الأوراق ، كما لو كان يريد أن يخفيها)

كـــــرابار : (منقضا عليه) مكانك ! ... ناولنى هذا ! ناولنى هذا ! ...

(ينتزع منه الأوراق ، يتصفحها بسرعة ويقرأ :)

" بحث فى العبودية " ... الجمهورية المستعبدة " ...

إننى أحتفظ بذلك !

(يلوِّح له بالأوراق تحت أنفه)

لابد وأنه يخفى غيرها ... " تافتا " أمسك يديه ! " فاشار " أخرج ما فى جيوبه !

(رجل يمسك بقبضة چيروم ، وهما خلفه ، بينما الآخر يفتشه ، تحت نظر كرابار)

كـــــرابار : رأسك فى يدى ، رأس الخنزير !

چيـــــروم : (بازدراء غير مكترث) كله !

(يدخل لازار كارنو فى ثياب عضو من لجنة الخلاص العامة . طويل ، ذو عينين زرقاوين ، جبهة عريضة ، كثيف الحاجبين ، خشن ، متغطرس ، متهكم)

المشهد الثامن

كـــــارنـو : (يتوقف لحظة عند العتبة ، ينظر بدهشة ، يتبين الأمر ، ويصيح بصوت مدو :) أيها الأغبياء ، ماذا تفعلون هنا ؟

(الرجال يلتفتون ناحية الباب)

الرجـــــال : كارنو ! ... كارنو عضو اللجنة العليا !

كـــــارنـو : (بخطى واسعة أقبل ناحية كرابار ، فينحيه بغلظة ، ينتزع چيروم من الأيدى التى تمسك به) " جان فوتر " اتركه .

كـــــرابار : (ثائرا) لقد جئت بناء على أمر !

كـــــارنـو : وأنا ، أعطيه .

كـــــربار : إن واجبى أن أفتش .

كـــــارنـو : إن واجبك أن تحترم المحترمين . دع هذا الرجل !

كـــــرابار : أهناك امتيازات بالنسبة لأعداء الجمهورية ؟

كـــــارنـو : أيها الغبى ! إن الجمهورية تدين لهذا الرأس بأكثر مما تدين لمائة رأس حمار من نوعك . إن اكتشافاته هى التى أمدت جيوش الثورة بالأجهزة المدمرة التى جعلتها تنتصر فى معركة واتينى .

كـــــرابـار : إن الانتصار ليس شهادة فى الوطنية . إننى لا أطمئن إلى النسور .

كـــــارنـو : هل ترى أنهم يحلقون أعلى من اللازم ؟

كـــــرابـار : إنهم يتجاوزون الحدود . فلننزع أجنحتهم ! كلهم سواء !

كـــــارنـو : كلهم ضفادع ! **(رجال كرابار يضحكون)** يا كرابار ، وإلى أن ينزل العالم إلى مستواك ، فإن الجمهورية فى حاجة إلى قادة . وأنا واحد منهم ، اترك هذا المكان .

كـــــرابـار : سأرحل ، إذا تراءى لى ذلك . إنك لست السيد ، هنا . إننى ممثل لجنة الأمن ، ولا أسمح أبدا بالسخرية ...

كـــــارنـو : إن لجنة الأمن ليس من عادتها أن تمزح . الويل لمن يقاوم أوامرها !

كـــــرابـار : حسن . سأرحل ، لأننى أريد ذلك . ولكن لجنة الأمن ستعلم . وإذا كانت رأسى أنا فى يديك ، فإننى أقبض على رأس الآخر .

(يلوح بالأوراق التى أخذها من چيروم ، ويخرج مع رجاله وتلحق بهم بودان)

(چيروم وكارنو يبقيان وحدهما)

المشهد التاسع

كـــــارنو : ماذا أخذ ؟

چيـــــروم : قرار الاتهام .

كـــــارنو : بوصفك متهَما أو متهِما ؟

چيـــــروم : الاثنان ، أتهم فى هذه الأوراق مـفـاسـد الدسـتـور ، والطغاة الذين يستغلونه .

كـــــارنو : إنك ترجم السماء . الحجر يسقط فوق رأسك .

چيـــــروم : أنا أعلم ذلك . إن الحقيقة قاتلة .

كـــــارنو : كورفوازييه ، إن الوقت يمضى بسرعة . كنت أعلم ذلك ، وأنا فى طريقى إلى هنا . لكن الأمور تمضى أسرع مما قدرت لها . فلم أكن أتصور أننى سأجد هنا الوشاة والجواسيس .

چيـــــروم : إذن ، أليست لجنة الخلاص العامة هى التى أرسلتهم ؟

كـــــارنو : إن لجنة الخلاص العامة ليست فى حاجة إلى جواسيس . يكفيها أصدقاؤك . .

چيـــــروم : هل تكلم دينى بايو ؟

كـــــارنو : نعم .

چيـــــروم : ليس لدى إذن ما أخبرك به .

كـــــارنو : إنك تخفى هنا أحد كلاب الجيروند .

چيـــــروم : تنتظر منى أن أسلمه ؟

كـــــارنو : كلا . بل ألق به فى الخارج ! وليلق حتفه فى مكان آخر ! إننى لم أحضر لأحدثك عنه . فحيثما كان هذا الشقى ، وحيثما ذهب ، فإن حياته لا قيمة لها فى هذه الساعة . لقد جئت لأحدثك عن نفسك .

جـــيـــروم : ماذا تريد ؟

كـــــارنو : كورفوازييه ، أنت تعلم أنك جعلت نفسك موضع شبهة ولم يبدأ ذلك اليوم فقط . فإن موقفك المثير للشك قبل عدة شهور ، واستنكارك الصامت لتصرفات اللجنة ، وامتناعك عن التصويت ، جعل منك عدوا . لم يجدوا مشقة فى استشفاف مشاعرك الخفية . إن ما استطاع أن ينقذك إنما هى الخدمات التى أسديتها للوطن وتدخل " بريور " و " جان بون " وأنا ، نحن الراغبين فى إنقاذ رأسك من أجل الدفاع الوطنى . ولكن اليوم ، قد فاض الكيل. إن ما أثارته أقوالك الطائشة فى جلسة المجلس ، وخروجك المتعجل قد فجر غيظ اللجنة . فلقد وقع هناك منذ قليل مشهد عنيف . والموقف أصبح فوق طاقتنا . إن الأغلبية تريد التخلص من المقاومة التى تلزم الصمت ، وهى أكثر خطرا من التى تتكلم . وهم يخيرونك : فإما أن تؤيد صراحة القرارات الجديدة ضد المحكوم عليهم ،

وإما أن تلحق بهم . ولقد جئت لكى أبلغك بأن تذهب هذا المساء ، إلى المجلس وتصعد المنصة وتعلن تأييدك للقرارات . هذا هو الشرط الذى وضعوه لنجاتك .

چيـــــروم : (بهدوء) وأنا أرفضه : أنا أعلم أنى أثير الشك منذ عام مضى . واليوم أيضا، أبديت اضطرابا لم يكن جديرا بى . ولكن منذ ذلك الحين فإن ظروفا معينة ، لا فائدة من ذكرها ، أعادت إلى وضوح الرؤية واطمئنان النفس . وسأكون سعيدا فى النهاية أن أمارس مسئولياتى .

كـــــارنو : وما هى ؟

چيـــــروم : سأندد بالأحكام الجائرة وبدكتاتورية الدماء .

كـــــارنو : لن تفعل ذلك أبدا . إنك لا تملك الحق فى ذلك ، ولا القدرة أيضا .

چيـــــروم : إننى أملك حق ضميرى ، والقدرة على أن أضحى بنفسى من أجله .

كـــــارنو : أيها المجنون ، إنك لا تدرك إطلاقا أننا لا نستطيع فى هذه الساعة أن نهاجم اللجنة ، دون أن نهدم ما أنجزناه وهو الجمهورية .

چيـــــروم : إن إنجازاتنا كانت إقامة حقوق الإنسان الحر .

كـــــارنو : لكى يكون الإنسان حرا ، يجب أولا أن نحميه من أولئك الذين يستعبدونه .

إن حقوق الفرد لا تُعدُّ شيئا دون قوة الدولة .

چيـــــروم : إنها لا تعد شيئا إذا ضحينا بها فى سبيل قوة الدولة .

كـــــارنو : إنها ليست شيئا الآن . ولكنها ستكون . فلنتعلم كيف نضحى بالحاضر فى سبيل المستقبل .

چيـــــروم : إننا إذْ نضحى فى سبيل المستقبل بالحقيقة ، والحب ، وكل فضائل الإنسان ، واحترام الذات ، فإننا نضحى بالمستقبل . إن العدالة لا تنبت فى تربة الرذيلة .

كـــــارنو : لنتكلم بصراحة ، يا كورفوازييه ! نحن رجال علم . وكلانا يعلم قسوة قوانين الطبيعة . فهى لا تهتم بالعاطفة على الإطلاق . وفضائل الإنسان تركلها بقدميها ، لكى تحقق غاياتها . إن الفضيلة هى الغاية ، وأنا أريد الغاية . أيا كان الثمن الذى أدفعه فى سبيلها . وهذا الثمن لست أنا الذى وضعته . ولكننى أقبله . إننى أتقزز ، مثلك ، وربما أكثر منك ، من هؤلاء الرجال ، أهل الدهاء والدماء . وأكثر منك ، يتحتم علىَّ أن أعيش معهم جنبا إلى جنب . إننى أتقزز من ألوان العنف التى يطلبون منى أن أوقع عليها كل يوم . لكننى لا أظننى قادرا على رفضها والهرب من المعركة ، لأنها تلوث يدى . فإننى أضع فى الحسبان هدف المعركة التى نخوضها . إن تقدم الإنسانية يستحق منا بعض القذارات – وإذا لزم الأمر ، بعض الجرائم .

چيـــــروم : إننى أفهمك يا كارنو . فأنا لا أهاجم فيك خلوك من الشفقة . لأن العلم ، كما قلت أنت ، لا يهتم بالشفقة . وأنا مثلك ، لا أثق بالعاطفية . ولكننى لا أثق أيضا

بالأيدولوجيات . ولما كنت أكبر منك سنا ، فإننى لم أعد أؤمن مثلك بالتقدم البشرى . إننى رجل علم إلى درجة لا أستطيع معها أن أؤمن دون تحفظات بإحدى نظرياتنا (**لأن الأمر لا يعدو أكثر من ذلك**) ومهما بلغ إطراؤها لعبقرية الإنسان وأمله الحار ، فإننى لن أجعل منها فى حياتى إله فوق هيكل ، يتغذى على رائحة دماء القرابين . فما من شىء مقدس فى نظرى سوى الحياة ، الحياة الحاضرة .

كـــــارنو : وتسلمهم حياتك ؟

جـــيـــروم : إننى أرفض ، فى سبيلها ، تسليم حياة الآخرين .

كـــــارنو : إن حياتهم ، على أية حال ، ضائعة .

چيـــــروم : أما حياتى فليست كذلك على الإطلاق ، إذا كانت تضع فى مواجهة عصر دنىء حافل بالجبناء والطغاة ، روحا طاهرة حرة .

كـــــارنو : إننى لا أكترث لروحك ! لكننى أتمسك بحياتك . إننى فى حاجة إلى عقلك .

كورفوازييه ، إننا فى حاجة إلى نشاطك ، إلى عبقريتك . إن الدولة تطالب بهما . وأنت مجند . وليس من حقك الهروب . إنك تسلب الأمة ثمارا هى من حقها .

چيـــــروم : إننى آسف لقطع سلسلة الأعمال التى بدأتها . إن حب الحقيقة هو الوحيد الذى لا يخدع . إن البحث الصبور المخلص فى سبيلها هو العرض الوحيد الذى يمكن أن

يدوم . ولكننا تعلمنا ، فى هذه السنين الأخيرة ، أن علينا دائما أن نكون على استعداد ، بين يوم وليلة ، لأن نزهد فى كل ما نملك : الثروة ، والشرف ، والسعادة ، والحب ، والعمل ، والحياة . وأنا على استعداد .

كارنو : أيها الأنانى ! إنك لا تفكر إلا فى نفسك ، وأنت تهب نفسك ! ... أنا أيضا مستعد بالنسبة لنفسى . ولكننى لست كذلك بالنسبة لك . إننى لن أذعن لذلك .
كورفوازييه ! ... باسم الاحترام القديم والمشاركة فى العمل الذين يربطان بيننا ! ... اقبل شروط الخلاص والنجاة التى أحملها إليك .

چيروم : لا أستطيع .

(يبتعد)

كارنو : **(يهز كتفيه)** كلام نظريات ! ... غباء وعناد !

(ينتظر لحظة ، ثم يتقدم بضع خطوات نحو چيروم ، ويقدم إليه أوراقا)

خذ ! أمسك !

چيروم : **(يتناول الأوراق)** ما هذا ؟

كارنو : كنت متأكداً من ذلك مقدما ! إننى أعرف عناد علماء الرياضة ... هيا ، ضعها فى جيبك ! ... جوازان للسفر ! باسمين مستعارين ، لك ولزوجك . ولكن ليس هناك يوم واحد يمكن تضييعه ! غادر باريس هذا المساء ! فى

الحال ، إذا أمكن . إن مكانيكما محجوزان فى العربة العامة ، من باريس إلى ديجون، ومن هناك إلى سان كلود . وداعا . لا يجب أن يراكما أى إنسان بعد الآن ! .

چيـــــروم : **(متأثرا)** كارنو ! ... **(يشد على يده)** ... ولكن فيم يفيد الهروب ؟ سيقبض علينا فى الحال ... هل نفلت من مخبرى اللجنة وحقد روبسبيير ؟

كـــــارنو : إنه على علم بالموضوع .

چيـــــروم : من ؟ هو ؟

كـــــارنو : المنزه عن الهوى والفساد . أجل . إن المبادرة جاءت من جانبى . ولكن على الرغم من أنه تظاهر بجهله التام ، فإننى جئت بموافقته الصامتة . إن موتك يحزننا يا كورفوازييه . إن الجمهورية لا تحب أن تحمل جثتك فوق ذراعيها . إنها بالغة الثقل . اخدمنا واحملها عنا ! إن اللجنة تغمض عينيها . ولكن لا ترغمنا على إعادة فتحهما ! لا تعرض نفسك للخطر ! فلن يغفروا لك ذلك أبدا .

(يخرج)

المشهد العاشر

(چيروم دى كورفوازييه يجلس إلى مكتبه مفكرا . باب حجرة صوفى يفتح بحيطة ، صوفى تظهر . تنظر إلى الحجرة الخالية وزوجها الذى يوليها ظهره)

صـــــوفـى : **(بصوت خفيض)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : **(دون أن يلتفت)** نعم .

صـــــوفـى : وماذا قال لك كارنو ؟

چيـــــروم : لا شىء . **(يلتفت)** لا نضيع دقائقنا فى كلام لا يفيد ! فهى محسوبة علينا .

لننظر ماذا يجب أن نقول . اقتربى يا صوفى . إن ما سنتحدث فيه الآن لا يجب أن يسمعه رجل الجانب الآخر .

(يشير إلى الباب الذى خرج منه فالليه) هذا الرجل أنت تحبينه ... لا تردِّى ! إننى أعرف . إن صراحتك أكبر من قدرتك على إخفاء ذلك . **(بعد برهة)** مع أنها كانت ضئيلة جدا لأنك لم تعترفى لى بهذا الحب **(تأتى من جديد حركة ، يوقفها)** ولكننى لا ألومك على شىء . فإذا كنت لم تستطيعى ذلك فإن أية امرأة ، مكانك ،

ما كانت لتستطيع . لأننى أعرف إخلاصك وضعف القلب . إننى أرثى لك .

(صوفى واقفة أمام چيروم الجالس ، وبداها ملتصقتان بجسمها تطأطئ رأسها عند سماع هذه الكلمات الأخيرة ، كالمحطمة)

چيـــــروم : **(يتأملها بابتسامة حزينة)** كم تحبينه !

صـــــوفى : **(مطأطئة الرأس)** إننى أحبُّه .

(صمت قصير)

اغفر لى !

چيـــــروم : أنت حرة .

صـــــوفى : **(ترفع رأسها ، تمد يديها إلى چيروم)** چيروم ! أخبرنى ... ما العمل ؟

چيـــــروم : ليس لى أن أجيبك . كل فرد يقضى فى أمر نفسه . كل يجيب لنفسه .

صـــــوفى : ولكنك سوف تحتقرنى !

چيـــــروم : كلا . إننى لا أشعر بحقد ولا باحتقار لأى شىء . الخطأ ليس خطأ أحد .

الخطأ هو خطأ الحياة .

صـــــوفى : **(وبداها ممدودتان نحوه)** ولكن أنت ، أنت سوف تتألم .

چيـــــروم : كلا . فى مثل سنى ، فى هذا الوقت ، لن يكون لدى الوقت ، لن يكون لدى الوقت . لا تفكرى إلا فى أمر نفسك ! اهنئى ، إن استطعت ذلك .

صـــــوفى : (بيأس) چيروم !

(واقفة ، مستنده إلى حاجز المدفئة ، تنتحب ، ووجهها بين يديها . جيروم متأثرًا ، ينهض ، يذهب إليها ، ينحنى بطريقة أبوية)

صـــــوفى : (رافعة وجهها المغطى بالدموع) وا أسفاه ! لقد أحب كل منا الآخر . فلماذا يمضى الحب ؟ لماذا يتغير الحب ؟ ... آسفة ! إننى أجرحك مرة أخرى ... أى صديقى ، إننى لم أكف عن الاحتفاظ لك بأصدق الود . وبدلاً من أن أسبب لك اليوم شقاء ، كان أحرى بى أن أتحمل وألزم الصمت حتى الموت ... ولكن العاطفة ، كالريح العاصفة ، أقبلت وفتحت الأبواب . استولت على ، وساقتنى . ماذا أصنع ؟ قل لى ماذا بوسعى أن أصنع ؟ هل بوسعى مقاومتها؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل هذا جميل ؟ هل هذا فى مقدورنا نحن البشر ؟

(چيروم ينظر إليها برثاء . يبتسم لها ، فى شفقة . ثم ، يتناول من فوق المكتب جوازى السفر ، اللذين تركهما كارنو ، ويقدمهما إليها)

(صوفى تأخذهما بطريقة آلية ، وتنظر إليهما ، دون أن تفهم)

چـــيـــــروم : سترحلان ، أنتما الاثنان ، هذا المساء . هذه الأوراق تفتح لكما أبواب باريس وطرق فرنسا حتى الحدود السويسرية. لقد عمل حساب كل شىء . التأشيرات سليمة ، والأماكن محجوزة . سيكون من السهل عليكما

أن تجعلا ملابسكما وملامحكما مطابقة للمواصفات المدونة . اذهبى وأخبرى فاليه ، استعدا بسرعة ! لا ينبغى أن يأتى هذا المساء وهو مازال هنا . اذهبى ! أنقذى حياته، وأنقذى سعادتك !

صـــــوفى : (وهى فريسة لاضطراب بالغ) صديقى ! ... هل تريد ذلك ؟ هل تريد ذلك؟

... كلا ! هذا مستحيل .

چيـــــروم : (هادئا) يجب إنقاذ فاليه . ألا تريدين ذلك ؟

صـــــوفى : (متأثرة) بلى أريد ذلك .

چيـــــروم : اذهبى إذن بصحبته ! فإنه لن يرحل بمفرده . ولا ينبغى لك ذلك . إننى أعهد بكل منكما إلى الآخر . لا تتأخرا ! ارحلا !

صـــــوفى : (تنحنى أمام چيروم دى كورفوازييه ، تأخذ يده وتقبلها . چيروم يريد تخليص يده . صوفى تنتصب ، ولكن دون أن تترك يد زوجها ، يلبثان واقفين ، كل فى مواجهة الآخر ، وكل منهما ينظر إلى الآخر)

أنت إنسان طيب ! ... ولا أستطيع أن أقبل ذلك .

چيـــــروم : تستطيعين ذلك صراحة ، كل شىء بيننا صريح .

صـــــوفى : لا أستطيع أن أتركك .

چيـــــروم : لقد تركنى قلبك . صوفى ، لا نحاول أن نخادع أنفسنا ! إن قلبك مع الآخر .

صـــــوفى : ما أشد ألمى إذ أتصور أن هذا القلب ، كنت قد وهبته لك ، وأننى أستعيده منك اليوم ! ... إنى لا أريد ! ... يا لألمى !

إن قلبى ليس ملكا لى ! ... كل شىء يفر منى ، حتى نفسى ! ... إننى أشعر بوطأة مرور الزمن . بالأمس كنت لك ، كنت قد وعدتك بأن أحمل أتراحك وأفراحك حتى النهاية . ثم أتخلى عنك ، وسط الطريق ، لكى آخذ على كاهلى عبء حب يبدأ من جديد؟ ... آه ! ما دام يبدأ ، فسينتهى أيضا ! ... هل سيتوافر لى من الإيمان ما يكفى لكى أقيم حياة جديدة ؟ أين أجد ثقتى فى نفسى وفى الحياة ؟ ما أشد ألمى !...

چيـــــروم : إن الحياة ، التى تموت كل مساء وتبعث كل صباح ، سرعان ما ستقدم لك النسيان والأمل . لا تفكرى بعد ذلك ! إن الوقت يمضى حثيثا .

(يدفع صوفى برقة ناحية باب الحجرة التى أغلقت على فالليه . يضع لها جوازى السفر فى يدها)

صـــــوفى : **(التى أخذت الجوازين وتنظر إليهما آليا . وراحت فى تفكير عميق)**

ولكن هذين الجوازين ، كيف حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : ما أهمية ذلك ؟

صـــــوفى : من أين حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : كارنو أعطاهما لى .

صـــــوفى لماذا ؟ ... لماذا أعطاهما لك ؟ إنهما من أجلك ، أنت وأنا . لنا نحن الاثنين. كان علينا إذن أن نرحل ؟ ... هناك خطر يتهددك ! ... أنت فى خطر ! ...

چيـــــروم : (**محاولا تغيير مجرى تفكيرها**) كلا ، كلا ... لا خطر على الإطلاق .

صـــــوفى : إذا لم يكن هناك خطر فلماذا جاء يحمل إليك وسائل هروبنا ؟

چيـــــروم : هيا ؟ لا تكونى مجنونة ! لا تختلقى هموما لا وجود لها ! كفانا همومنا الحقيقية . لا تفكرى إلا فى إنقاذ من تحبين !

صـــــوفى : من أحب ؟ ... كورفوازييه ، إننى أحمل اسمك ، إننى لازلت زوجتك . وإلى أن يفصم الرباط الذى يربطنا ، فإننى أطالب بحقى ، حقى كزوجة ، والقانون الذى احترمناه فيما بيننا دائما كالحقيقة المطلقة ... أنت مدين لى به . تكلم ولا تخف شيئا .

چيـــــروم : (**بعد صمت قصير**) لقد أبلغ عنا . لقد سلمنا بايو . إنهم يعلمون من نخفى عندنا . وسيأتون فى الليل للقبض على فالليه .

صـــــوفى : وعليك .

چيـــــروم : إن صداقة كارنو ستكون كفيلة بحمايتى . كفى كلاما ! استعدى للرحيل !

ارتدى ملابس ثقيلة . اجمعى الحاجيات التى لا يمكن الاستغناء عنها . إننى ذاهب لآتى بفالليه .

(**يهم بفتح الباب ، عندما يظهر فالليه ، زائفا ، وملابسه فى فوضى**)

المشهد الحادى عشر

فـــالليـــه : **(يلقى نظرة حوله)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : نعم . لكنهم سيعودون .

فـــالليـــه : **(قلقا)** متى ؟

چيـــــروم : لست أدرى .

فـــالليـــه : **(يجوب الحجرة ، بخطى واسعة قلقة ، ينظر من النافذة ، ينصت للباب ، دون أن يكف عن السير)** أين الفرار ؟ أين الملجأ ؟

چيـــــروم : أريد أن أتحدث إليك .

فـــالليـــه : **(الأداء نفسه دون أن ينصت)** لن أعود أبدا إلى المخبأ الصغير الذى حبستنى فيه. إننى لا أستطيع أن أبقى هكذا ممنوعا من الحركة ! كنت هناك ، متمددا، محشورا وكأننى فى نعشى . وكنت أسمعهم وهم يسيرون داخل الحجرة .

ولقد احتكوا بالجدار الذى كنت مختبئا فيه ، وأنا أكاد أختنق دون أن أستطيع إتيان حركة أدافع بها عن نفسى ... لا أستطيع أن أتحمل ذلك ! ... لن أعود أبدا .

چيـــــروم : (**جلس ، هادئا**) لن تعود . اسمع ما سأقوله لك .

فـــاللـيـــه : تقول إنهم سيعودون ؟

چيـــــروم : (**هادئا**) لدينا وقت لكى نتحدث .

(يشـيـر إليـه بالجلوس . فـاللـيـه يجلس ، ولكنه ، وهو يتابع كلام كورفوازييه يرصد فى قلق الضوضاء التى فى الخارج)

چيـــــروم : (**هادئا**) لقد أقنعت زوجتى بالابتعاد عن باريس ، لفترة من الوقت . إن صحتها ، منذ الشتاء ، متوعكة . ستذهب لقضاء شهرين ببلدتها " سون " ، جهة من أعمال " كلونى " . كان ينبغى أن أصحبها . لكن الشئون العامة لا تسمح لى بذلك ...

صبـــــوفى : (**هادئة**) إنهم يصعدون إلى الطابق الذى فوقنا .

(فالليه يعود إلى الجلوس)

(فالليه نهض من فوق كرسيه ، عندما سمع خطوات تصعد السلم)

چيـــــروم : (**يواصل وكأنه لم يقاطع**) ... إننى لا أستطيع مصاحبتها . هاهو ذا جواز سفرى . ستذهب أنت بدلا عنى .

(**مذهولا**) أنا !

فـــاللـيـــه : (**الأداء نفسه**) وهكذا ، وأنت تقوم برعايتها ، ستمر من

چيـــــروم : خلال الشبكة التى نُصبت لصيدك . وما إن تصلا عند أهلها بوصفكما اثنين من سكان "كلونى" ، حتى تصبح قريبا من الحدود . والباقى يخصك .

(فاليه نهض ، يأخذ جواز السفر الذى يقدمه إليه كورفوازييه ، يطويه ويفضه ، وهو من الانفعال بحيث لا يستطيع الكلام)

(وفى خلال ما فات صوفى تنصت ، تفكر ، تنظر إلى الرجلين ، ثم ، بلا ضوضاء ، تمزق جواز سفرها وتلقى به فى نار المدفأة . تنهض وتذهب ناحية فاليه)

صـــــوفى : (مخاطبة چيروم ، الذى يشير إليها بالسكوت) كلا ، يا صديقى ، دعنى أتكلم، لا يجب أن تخفى شيئا .

(مخاطبة فاليه ، برقة حازمة) كلود ، إن زوجى يعلم بشعورنا . فلقد اعترفت له . وهو من الشهامة والنبل بحيث ترك لى حرية الذهاب معك .

ولقد اتخذت قرارى . إننى وقد أصبحت حرة ، سأظل بجانب زوجى . لقد وهبته نفسى ، بملء حريتى ، إلى الأبد . وهو لم يفقد أبدا من قيمته فى نظرى . وإننى لا أستطيع أن أسترد نفسى منه دون أن أفقد من قيمتى . إن النفس الكريمة لا تتنكر لذاتها أبدا . لقد أردت أن أقاسمه محنة حياته . وما أردته لازلت أريده **(تذهب إلى زوجها وتقدم له يدها)**

چيـــــروم : (متأثرا) لم يعد من حقى أن أستبقيك . فقد أجرُّك معى فى الضياع الذى يتهددنى .

صـــــوفى : (بسرعة وبصوت خفيض) اسكت ! لا يجب أن يعرف !

فـــالليـــه : (بمرارة) آه ! إنك لم تحبينى أبدا !

صـــــوفى : إننى أحبك ، يا فاليه . وسأظل أحبك . ولكننا إذا لم نكن قادرين على ألا نتألم من الحب ، فإننا قادرون على ألا نكون لعبة للحب .

فـــاليـــه : (بمرارة) إنك لم تحبى فى حياتك أحدا ! إنك لا تحبين سوى كبريائك .

صـــــوفى : (برقة) صديقى ، لو لم يكن بى هذا الكبرياء ، كما تقول ، ذلك الكبرياء التعيس المجروح ، فهل كنت ستحبنى إلى هذه الدرجة ؟ هل كنت ستحبنى طويلا ، لو كنت ضعيفة ، ضائعة ، نهبا للعاطفة التى تزول وتنقضى ، جاحدة لعهدى ؟ وهل كنا سننعم بالسعادة ؟ كنا سنعيش فى فزع السعادة التى تنتهى ، والحب الذى يذوى وحينما نسأم ونمل ، نعود وحيدين ذابلين .

فـــاليـــه : (عنيفا) لا يهم ! فسأكون قد حصلت عليك !

صـــــوفى : (بابتسامة حزينة) وستكون قد حطمتنى... هيا ، يجب إنقاذك ، يا عصفورى المسكين الذى وقع فريسة ! بالنسبة لبعضهم ، فأنت فى هذه الساعة فريسة . كفى كلاما ! ولنفكر فى سبل الهرب !

فـــاليـــه : إننى لا أريد أن أرحل ! لا أرحل دونك !

صـــــوفى : لقد أحرقت جواز سفرى . ولم أعد أستطيع الرحيل .

فـــاليـــه : على الأقل ، ليس هذه الليلة ! أريد أن أقضى هذه الليلة تحت سقف دارك .

چيـــــروم : إنهم يعلمـون أننى آويك عندى . قـبل منتـصف الليل سيقبض عليك .

فـــالليـــه : كلا ! إنك تخدعنى ! إنك تكذب !

چيـــــروم : ستتأكد من ذلك . إن من الممكن أن يصلوا بين دقيقة وأخرى .

فـــالليـــه : هذا خطأ ! (**ينصت**) إننى أسمعهم ! ... كلا ... لن أرحل أبدا ، سأبقى .

چيـــــروم : (**هادئا**) ابق إذن ! هل أنت مستعد لأن تموت ؟

فـــالليـــه : (**وقد هزته رعدة**) أمـوت ! ... كـلا ! كـلا ! لا أريد ! ... أموت ! ... يالللفظاعة !

چيـــــروم : (**هادئا**) يُقبض عليك بعد ساعة ، ويحكم عليك صباح الغد ، وفى المساء تعدم بالمقصلة ...

فـــالليـــه : (خـارجـا عن طوره) مـساء غـد ، فى تلك السـاعـة ، أصبح كومة من اللحم ، تلقى فى العربة ويقذف بها فى جب الموتى ... أنا ! ... أبدا ! ... لا أريد !

... أنقذونى ! ...

(يبدو كالتائه ويرتمى عند قوائم كرسى خال ، وتظل يداه متعلقتين بمسند الكرسى)

جـــيـــــروم : تهيأ إذن للرحيل .

(نهض ، وكذلك زوجته ، يجمع بعض الأشياء ، ملابس وغذاء ، التى ستكون بالنسبة لفاليه متاع سفر . فاليه ينهض ببطء ، يتنفس بشـدة مطأطئ الرأس ،لا يجـرؤ

على النظر إلى صديقيه الذين يروحان ويجيئان داخل الحجرة ، يوليهما ظهره وهو واقف معتمد على مسند الكرسى ووجهه ناحية الصالة)

فـــالليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صـــــوفى : **(تذهب إليه وتلقى بمعطف فوق كتفه)** سننقذك أيها الصديق !

فـــالليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صـــــوفى : **(تلبسه وكأنها أمه)** كلا . لا تخجل أبدا ! إننى أحب أن تكون لديك الرغبة فى الحياة . إننى سعيدة إذ أرى أن الحياة لازالت غالية عندك .

فـــالليـــه : إننى أبغضها ، وأريدها . إننى لا أستطيع ، لا أستطيع أن أذعن لفقدها ... أوه أيتها الآلهة ! ماذا حدث ؟ إن المهانة تحطمنى ... صوفى ، إننى لكى ألحق بك ، تحديت ألف موت ، إننى لم أرتعد بتاتا إلا خشية ألا أراك مرة أخرى .

والآن ، والآن ! ... لم أعد أستطيع أن أتحمل فكرة الموت... كلا ، لاتنظرى إلى بعينين تملؤهما الشفقة ! أى نفور أوحى إليك به !

صـــــوفى : **(بصوت خفيض)** أيها الصديق ، إننى لم أحبك قط كما أحبك الآن !

فـــالليـــه : آه ! إن رؤيتى لك هى التى سلبتنى حميتى لأننى أدركت من جديد قيمة الحياة التى كنت قد زهدت فيها ، لم أعد أريد أن أتخلى عنها .

(وهو منهار)

إننى جبان ، إننى خائف .

چيـــــزوم : (يقبل نحوه بحنان) لا تعذب نفسك ! لا تتهم ضعفك ! إننا نعلم يا صديقى ، أنه ما من إنسان أعظم منك شهامة . ولكن هذا الرجل الشهم هو إنسان . لقد استهلكت قواك حتى المستحيل . فقد واصلت خمسة أشهر كاملة ، كفاحا يفوق طاقة البشر . وحط عليك الإرهاق على حين فجأة ، مثل الحجر . فلمست الأرض . ولكن وأنت تناضل . انسحب من الميدان . فأنت تستطيع ذلك ، مرفوع الهامة. يجب أن تفعل ذلك . غادر باريس ! اخرج من فرنسا ! اهرب من أعدائك ! اذهب واستعد قواك لمعارك جديدة .

فـــاللیـــه : (مستعيدا قوته شيئا فشيئا بفعل هذا الكلام ، ينهض ويتهيأ للرحيل)

ولكنكما ستلحقان بى ؟

چيـــــزوم : إننى لست مخلداً .

فـــاللیـــه : ولكن أنت يا صوفى ... ما قولك ؟ ربما ذات يوم ؟ ...

(يتوقف فجأة وهو يلقى بنظرة خاطفة على كورفوازييه ، ينحنى كى يقبل طويلا يدى صوفى ، يتوجه ناحية الباب ، فى لحظة الخروج ، يلتفت ، يرى كورفوازييه الذى يمد له يده ، يتردد لحظة ، يأخذ يده ، يلقى نظرة أخيرة على صوفى)

وداعا !

(يخرج)

المشهد الثانى عشر

(چيروم دى كورفوازييه وصوفى يمكثان وحدهما . وقد حل الليل تماما .

چيروم لا يزال ينظر إلى الباب الذى خرج منه فالليه .

صوفى ، وهى تقترب من النافذة ، تنظر من خلال الستائر)

چيـــــروم : (**بطيبة**) أعتقد أن الولد الطيب قد قدَّر قصر أيامى .

(يتوجه ناحية المدفأة ويشعل لهبا)

صـــــوفى : (**تترك مكانها الذى تراقب منه ، تقبل نحو المدفأة ، بسخرية يشوبها ود وكآبة)**

لكنه لم يدرك قدْر أيامى .

(تلتفت إلى زوجها وتمد له يديها . يتناولها وينظر إليها بحنان)

چيـــــروم : ألست نادمة على شىء ؟

صـــــوفى : هل أمر القبض أكيد ؟

چيـــــروم : ليست هناك أية فرصة للهرب .

صـــــوفى : إذن كل شىء على ما يرام .

(تخلص يديها ، يجلسان ، حول النار التى تخمد !)

جـــيـــــروم : سهرتنا الأخيرة .

صـــــــوفى : إننى أشعر بارتياح . لم أعد مشغولة باتخاذ أى قرار ، لم يعد على أن أخوض أية معارك . لم أعد أرغب فى شىء ، لم يعد هناك إلا أن أستسلم للأشياء التى تريد بدلا عنا ، لجدول الليل .

(چيروم يقترب منها ويتأملها بود صادق . تضع رأسها فوق كتف زوجها . وهى جالسة بالقرب منه ، سيقانهما تتلامس وأيديهما ثابتة فوق سيقانهما : يحلمان ويبتسمان ، وهما ينظران إلى النار . كل الحوار الآتى تقريبا يقال بصوت خفيض)

صـــــــوفى : **(بحنان وهدوء)** زوجى الطيب العـــزيز ، يا من كنت تضحى بنفسك فى سبيلى ، بكل هذه البساطة !

چيـــــــروم : ليس من التضحية فى شىء أن نريد سعادة من نحب .

صـــــــوفى : إننى سعيدة الآن .

چيـــــــروم : تريدين أن تواسينى .

صـــــــوفى : **(هادئة ، بطيئة ولكن عند الكلام الأخير تنتابها رعدة خفيفة)**

كلا ، يا صديقى ، إننى أقول الحقيقة . لقد تركت أشجانى على الشاطئ الآخر الذى تركناه . آه ! آه ما أعظم ارتياحى إذ أراها تبتعد ، ورأسى فوق كتفك ! ابق ! لا تتحرك ! وهذا الجحيم البشرى ، ونزواته ومخاوفه ! .

چيـــــروم : لم يسأم منها بعد صديقنا فالليه .

صـــــوفى : **(الأداء نفسه ، وابتسامة خفيفة على شفتيها)** الشاب المسكين ! ... نعم ، كم كان متلهفا للخوض فيها من جديد ! ... هل تظن أنه سينجح فى الهرب ؟

چيـــــروم : أتعشم ذلك .

صـــــوفى : ياللسعادة ! ... لكننى أخشى عليه من الحزن حينما يعلم بمصيرنا .

چيـــــروم : ستكون الحياة هى الأقوى .

صـــــوفى : نعم ! أظن ذلك ... مسكين يا فالليه !

چيـــــروم : هل تذكرين ، يا صوفى ، أمسياتنا الطويلة ، هنا فى هذه الحجرة ؟ أنا جالس قرب المنضدة ، أقرأ ، وأنت تنظرين إلىَّ وأنا أعمل ، وأنا أنظر إليك وأنت تحلمين ، وكلانا كان يحلم : لأن كل شىء ، الأفكار ، الأعمال ، العلم ، الحب ، كلها حلم ، وكلٌ بدوره ، يقدم لصاحبه أحلامه ، وغالبا ، عندما كانت تصادفنى المصاعب ، كنت ألجأ إلى فكرك الصافى ، يا ناصحتى الطيبة ...

صـــــوفى : إننى أذكر كل شىء ، منذ أول مساء دخلت فيه وأنا شابة هذا المنزل القديم .

كنا متزوجين حديثا ومع أنك كنت محاطا بالمجد ، فقد كنت خائفا منى ، لأننى كنت شابة ، ولأنك لم تعد كذلك . حينئذ ، كنا وحدنا ، فاقتربت منى وقلت لى بصوت خفيض : " اغفرى لى أنى أحبك " .

چيـــــروم : هل غفرت لى ؟

صـــــوفى : لقد سرى خلال قلبى عرفان ، عثرت عليه من جديد ، هذا المساء ، هذا المساء الآخير . اغفر لى ، أنت ، أنى نسيته .

(تقدم جبهتها لـچيروم الذى يقبلها)

چيـــــروم : أنا أيضا يا صوفى ، كنت قد نسيت نفسى ، كنت قد نسيت واجبى من الشجاعة والصراحة . فى أية حالٍ من الضعف كنت لا أزال هذا المساء عندما عدتِ ! إن الشعور بأنى فقدتك هو الذى أعاد إلى قوة قرارى .

صـــــوفى : كنا قد ضللنا – كلانا – فى متاهة هذا العالم المعذب ... تباركت هذه الساعة الأخيرة التى جعلت كلينا يعثر على صاحبه ، وعلى نفسه !

چيـــــروم : والآن لتسدل الستارة . لقد وصلنا ... اسمعى ! فى الشارع الخالى ، خطوات القادمين ...

صـــــوفى : **(وقد استيقظ قلقها)** وكل مشروعاتنا الكبرى ، وكل آمالنا الخائبة ، وكل أعمالنا المحطمة ، كل ما يموت معنا ...

چيـــــروم : **(منصتا)** إنهم يصعدون السلم ...

صـــــوفى : **(بقلق)** لو أننا على الأقل تركنا من بعدنا ، طفلا ! ... لماذا ، لماذا وهبت لنا الحياة ؟

چيـــــروم : **(حازما)** لكى نقهرها .

(صمت . ينهضان . صوفى ، معتمدة على چيروم ، تنظر إليه وتبتسم ، راضية – لا ينفصلان حتى النهاية ،

يقفان متقابلين ، رأس صوفى على كتف چيروم ، ينظر كل منهما إلى الآخر . لا يعيران انتباها حتى للباب الذى يفتح)

(تسمع أصوات مقبلة)

صـــــوفى : (باكتئاب باسم) نقهرها ... وداعا ، يا صديقى " الغار قطف ... "

(يطرق الباب بعنف)

چيـــــروم : (بحنان بالغ) وهذه الجميلة ستذهب لجمعه ... "

صـــــوفى : (وهى تشير فوق المنضدة إلى غصن زنبقة متروك منذ مشهد البداية)

كلا ، بل أعطنى هذا العنقود النضير الذى يموت ، هذه الزنبقة .

(كورفوازييه يعطيها الغصن المزدهر . تطبع عليه قبلة)

(الباب يفتح ... تدخل مجموعة من الرجال المسلحين)

النهايـــة